

# شہابی بالتعمانہ

مقالات

د. أحمد خالد توفیق

کیان کورڈار لیبی

شاي بالنعناع

وتزينة باليوغورتن

مع عصير .. أشتركت

لل

لمزيد من الكتب الحصرية ..

جروب عصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice

د. أحمد خالد توفيق

شاي بالنعناع

لمزيد من الكتب الحصرية

بيدج كتب جديدة

[https://www.facebook](https://www.facebook.com/kotobpdf2013)

[.com/kotobpdf2013](https://www.facebook.com/kotobpdf2013)

كيان كورب  
للنشر والتوزيع والطباعة  
دار ليلى



كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة  
دار ليلى

جميع الحقوق محفوظة، ما في قيد، اس او تقليد  
و إعادة طبع - دون موافقة مكتانية - بمرض  
صاحبه للمساءلة القانونية.

الكتاب:  
سناي بالنعناع

المؤلف:

د. أحمد خالد توفيق

رقم الإيداع:

2012/1912

الترقيم الدولي:

978-977-5238-03-0

\*\*\*

الغلاف:

محمد محمود

الإخراج الفني:

حسام سليمان

\*\*\*

مدير التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

\*\*\*

الهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصلح-الدور الرابع-مكتب 11  
هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)  
البريد الإلكتروني: mail@darlila.com تولى الرسمي: www.darlila.com





## مقدمة

أكتب منذ فترة مقالاً شهرياً لمجلة (الشباب) الصادرة عن الأهرام، وهي مرحلة ثانية بعد ما كنت أكتب قصص رعب شهرياً تحمل عنوان (الآن نفتح الصندوق). ثم طلب مني الصديق محمد عبد الله رئيس تحرير مجلة الشباب الحالي أن أغلق الصندوق و(كفاهه كده)؛ فبدأت سلسلة مقالات اسمها (شاي بالنعناع)، سوف استمر فيها إلى أن أموت أو يطردوني أو يمل القارئ مذاق الشاي بالنعناع.

سعدت جداً بتحرير هذه المقالات، لأنها تعطيني حرية في اختيار موضوع المقال، فالقارئ لا يتوقع مني شيئاً بعينه.. ليس مقالاً سياسياً كما يتوقع قارئ الدستور ومن بعده التحرير، وليس مقالاً قصيراً ساخراً كما يتوقع قارئ دنيا الاتحاد، وليس مقالاً علمياً صارماً كما يتوقع قارئ العربي الكويتي، وحتى موقع (بص وطل) يتوقع نوعية معينة من المقالات...

هكذا أخذت راحتي في هذه المقالات، وكان عنوان (شاي بالنعناع) مناسباً

لمزيد من الكتب المصرية ..

جروب نصير الكتب

[FB.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)



جدا لها، لما يوحي به من (روقان) وصفاء ذهن وانتشاء. على أن هناك مشكلة صغيرة برزت عندما قدمت لي الصديقة الشابة الرقيقة (دعاء شعبان) مجموعتها الأولى من القصص والمقالات التي تحمل عنوان (شاي بالنعناع). أنا أكتب مقالاتي قبل أن أرى مجموعة دعاء، وأنا متأكد من أنها لم تستعر عنوان مقالاتي؛ فالشاي بالنعناع أصيل ومهم في قصصها. لهذا أعتبر ما حدث توارد خواطر، ويرغم هذا طلبت منها الإذن في استعمال هذا العنوان لأن كتابها صدر تولا، وقد قبلت ذلك..

هناك كذلك طابع واضح لمقالات ما قبل الثورة وما بعدها، برغم أنني حرصت على البعد عن السياسة، فالسياسة كالضباب يتسرب لبيتك من تحت الأبواب وعبر التوافذ المواربة.. لذا لا بد أن تجد الكثير منها، ولهذا قررت أن أقسم الكتاب إلى قسمين واضحين هما ما قبل وما بعد الثورة. سوف تجد كذلك مقالا في مدح فنان الكاريكاتور العظيم حجازي، وكم أتمنى لو كان قرأه قبل رحيله. فقد فارقتنا بعد نشر المقال بشهرين! أرجو أن تروق لك هذه المجموعة.. ومن جديد أكرر أن الشيء الذي يميزها هو الصنق والحرارة. فيما عدا هذا يمكنك أن تنتقدها أو تطريها كما شئت.

د. أحمد خالد توفيق

Aktowfik.new@hotmail.com

الآن نخلق المندوق أشهر

ما قبل الثورة

لمزيد من الكتب الحصرية..

جروب نصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice



## الآن نخلق الصندوق!

سنة أعوام تقريباً... لم أصدق الرقم إلا عندما عدت الملفات الكمبيوتر، واكتشفت أننا فتحنا صندوق د. محفوظ لنخرج أول قصة ورق في نوفمبر عام 2004، ومنذ ذلك الحين نخرج قصة كل شهر لنطالع ما بها، وما هي نبي القصص قد انتهت.. يخيل لي أنني بدأت الكتابة هنا منذ عامين لا أكثر، لكن هذا بين الأعوام الأخيرة.. تزداد قصراً كأنها ليست أعواماً ولكن أعمدة هاتف نراها تركض متدافعة من نافذة قطار.

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم إلينا لتصل على كل ما هو جديد



يبدو أن الوقت قد حان لنغلق الصنفوق. حان الوقت كي يصمت د.  
محفوظ الثرثار قليلاً، وأتكلّم أنا.

طبعاً ينتظر القارئ مني أن أتكلّم عن بعض الظواهر الغامضة؛ مثل قلعة اللورد فلان في اسكتلندا حيث يمشي شيخ الكونتيسة بعد منتصف الليل ليلتهم أذن من يكون هناك، أو الرسوم الغامضة التي وجدها العالم (فلان) على قمة جبل في التبت، وتؤكد أن الهامبرجر كان معروفاً منذ مليون سنة لدى حضارة أخرى.. الخ.. يسمون هنا الكلام الفارغ (الظواهر الفورتية Fortean) وهناك أطنان منه على كل حال، ومن الغريب أنني لا أرتاح له كثيراً.. أقبل أن يكون هنا الكلام في سياق قصة حيث الخيال هو اسم النعبه، لكنني أرفض رفضاً تاماً أن يكون على شكل معلومات. بعبارة أخرى، يسرني أن أكتب قصة مسلية عن مصاصي الدماء، لكنني أرفض أن أكتب مقالاً عن مصاصي الدماء وطريقة قتلهم وكيف تميزهم عن سواهم.

دعنا من الكونتيسة التي تلتهم الآذان إنن، ولننتكلم في شيء آخر اليوم على الأقل.. فقط تعال وأعد لنا كوباً من الشاي الثقيل ليحلو الكلام.. ألا يوجد عندكم أي نوع من البسكويت أو الكيك هنا؟ لا؟ لا؟ يا للبلبل...

اليوم سوف أعود بك إلى أوائل السبعينات من القرن الماضي.. على الأرجح كنت أنت في علم الغيب وقتها، أما أنا فكانت طفلاً في المدرسة الابتدائية

نهماً للمعرفة بطريقة غير عادية.. نباتاً ينمو متأهباً لأن يمتص كل قطرة يقابلها حتى لو كانت قطرة عرق. في هذه الفترة تشكل وعيي للأبد، وقرأت أول ما قرأت من مجلات بعينين متسعيتين.. طبعاً لم أكن أستوعب معظم ما أطلعه لكنني لا أنساه أبداً.

كانت تلك الفترة أعواماً صاخبة بحق.. الشباب تأثر في العالم كله لأنه يشعر أن التكبار أوغاد منافقون متحجرون.. حرب فيتنام مشتعلة وقد بدأت تكلف أمريكا أرواحاً ومالاً أكثر من اللازم، وبدأ الناس في أمريكا يتساءلون: لماذا يقوم البيض الذين سرقوا أرض الحمر بإرسال السود ليقتلوا الصُغر في الجانب الآخر من العالم؟.. الشباب الأمريكي يهجر بيته ليلبس القمصان الشجرة ويمضي حافياً ويتعاطى عقار الهلوسة ويعيش في الشوارع.. البيتلز عادوا من التبت وقد اعتنقوا البوذية.. كل شيء مشجر وزاهي الألوان أو ما يطلقون عليه (سايكليك). وفي هذا الوقت بالذات - عام 1969 - أقيم الهيبيز مهرجانهم الأضخم والأشهر (وود ستوك) في واشنطن.. لابد أنك سمعت أغنية (حرية) التي كانت زهرة ذلك المهرجان..

أعتقد أن هذه الفترة أثرت بشدة في كاتبنا النشيط (محمود قاسم)، وله رواية جميلة اسمها (شارلستون) عن تلك الحقبة تصفها بأمانة ودقة.

في هذه الفترة بالذات عرفت الساحة الثقافية نوعاً فريداً من الخلوقات؛



هم الكتاب والصحفيون والرسامون الذين يسافرون للخارج عشر مرات في العام، على حساب الجريدة التي يعملون فيها طبعاً.

كان من السهل أن تعرف هؤلاء المثقفين من شكلهم، بالشارب طراز جنكيز خان المتدلي على جانبي الفم، والشعر الذي يتدلى على الكتفين، والسجائر الأجنبية، والمعطف الذي يحرص المثقف على أن يلتقط به بعض الصور لنفسه في ميدان ترافلجار أو سان ماركو أو أي ميدان يغطيه الحمام..

بعد هذا يكتب فلا يحاول استيعاب قيم العمل والنظام والعلم في الحضارة الغربية.. فقط هناك نائمًا تلك القصة الحمضانة عن الكاميرا التي نسيها في الأتوبيس، وعاد ليجدها حيث هي بعد عشرة أيام.. أو عن قشر اللب الذي ألقاه في الشارع - هل هناك لب في باريس؟ - ثم نظر خلفه فوجد رجل الشرطة يمشي خلفه من أول الشارع وقد جمعه كله في قبضته، ثم قال له: بونت دو نات (هل رجال شرطة باريس يتفاهمون بالإنجليزية؟).

الآن جاء دور المظاهر المضحية للحضارة الأوروبية.. المظاهر التي تبهره جنًا ويوشك على البكاء تأثرًا وهو يحكيها لنا مع نغمة (أنا شفت وانتوا لأه).. الحرية الجنسية ومحلات البورنو وأنواع النييز والفكر الوجودي والملاهي الليلية، وما يحدث في الشوارع بينما المارة لا يتدخلون.. الخ.. طبعاً هذا الأخ لا يرى من الفكر الوجودي سوى فتاة تلبس شبيهاً تنفث سحابة

كثيفة من الدخان وهي تنظر للسماء، وأمامها كأس مترعة، ومستعدة أن تذهب مع أي واحد إلى أي مكان في أية لحظة.. لماذا؟.. لأنها وجودية طبعاً يا أخي..

تقريباً كان هذا ما يكتبه كل واحد منهم، ثم يكتب في انبهار عن فيلم إباحي جديد تراه لندن وباريس ليقول لنا إنه يناقش (أزمة العصر والإنسان). دائماً أزمة العصر والإنسان حتى أصبت بحساسية من هذه العبارة، وأرسلتها لتكون من أنواع الأرتيكاريا المعروفة. لا بد من الكلام عن حرب فيتنام كذلك ليبدا الأمر عميقاً. رأيت فيلماً لبنانياً تم تصويره في تلك الفترة، فلم أجد مشهداً واحداً أقبل أن يراني أحد وأنا أشاهده، لكن في منتصف الفيلم يظهر رجل عجوز يحمل كأساً، ويقاد البطلة إلى جدار علق عليه بعض صور حرب فيتنام ليقول لها في عمق:

-حرب فيتنام.. يا سلام!!-

بهذه العبارة البلهاء صار الفيلم عميقاً وصار يناقش (أزمة العصر والإنسان).

في ذلك العصر اشتهر (كلود ليوش) جنًا بفيلمه الأول (رجل وامرأة)، وهو فيلم لا بأس به وفيه مجموعة طريفة من التقنيات الجديدة، أضف لهذا اللحن الجبار الذي يعرفه الجميع، والذي لو استعملته لاحقاً تصويرياً لزجاجة زيت تموين لصارت قطعة من الفن الرفيع. بعد هذا قدم ليوش حشدًا من

ناطحة السحاب (إمباير ستيت) في لقطة ثابتة لمدة ست ساعات! ولما تساءلت عن مبرر هذا الجنون، قالوا لي إن المخرج يرمز بصننا إلى (أزمة العصر والإنسان).

فيما بعد عرفت أن بعض هؤلاء السادة المثقفين كانوا يقومون بجولات مطولة في حانات باريس ولندن، ويكتسبون خبرة ممتازة في التمييز بين نبيذ (شيانتي) والتبنيذ البورجونوي، والجولات في شارع (سان دنيس) في باريس.. ثم يجلسون بسرعة ليكتبوا أي شيء.

أحياناً يضيعون وقتهم في نشاطات أخرى: هناك ناقدة سينمائية شهيرة كانت تكتب عن مهرجان كان كل سنة، ثم عرفت من زميل لها أنها كانت تقضي فترة للمهرجان كلها في التسوق من شارع الشانزليزيه، ثم تهرع إلى كان قبل انتهاء المهرجان لتجمع النشرات الخاصة بالأفلام المعروضة من ستاندات الشركات، تكتب منها في مصر تقريرها الذي سينشر في المجلة.. وكالعادة تشرح لنا كيف أن هذه الأفلام تناقش (أزمة العصر والإنسان).

تذكرت دعابة الأب المصري الذي أرسل ولده إلى فرنسا لدراسة الطب، ثم ذهب ليزوره بعد أعوام. راح الفتى الفخور يشرح لأبيه كل ركن في باريس.. هنا هو بار كنا.. هنا هو مرقص كنا.. هنا هو ملهى كنا.. في النهاية توقفا أمام بناية فاخرة عتيقة الشكل فسأل الأب ابنه عن اسمها. لم يعرف الفتى. اتجهها

الأفلام، حوّل فيها (رجل وامرأة) إلى جورب يقلبه بألف طريقة ممكنة ويحاول بيعه من جديد. في فيلم متأخر اسمه (رجل آخر.. امرأة أخرى) يقول في بدايته: "إن كل القصص قصة واحدة في النهاية!". علق الناقد الجميل (سامي السلاموني) على هذه العبارة قائلاً: "ليلوش يخبرنا منذ البداية أنه - عدم المؤاخذه - لا ينوي أن يقول شيئاً!". هكذا تبين لنا في وقت متأخر أن ليلوش بائع ترام يجيد الفرنسية لا أكثر. ثمة عبثري آخر هو جان لوك جودار الذي يستحيل فهم لقطة من أفلامه، وكان محبوباً جداً وقتها.

أفلام كثيرة جداً عبارة عن كلام فارغ اشتهرت في تلك الفترة، ولعتبها أفلام هؤلاء النقاد طويلي الشعر؛ منها الفيلم السخيف للتحتلق (التانجو الأخير في باريس). كان على بطلة الفيلم (ماريا شنايدر) أن تنتظر ثلاثين عاماً لتقول: "المخرج برتولوشي مريض نفسياً ومنحرف.. لم يكن يريد سوى استغلالي جنسياً بكل طريقة ممكنة". نفس الكلام ينطبق على السخف المسمى (سدوم) و(نقطة زيريسكي). طبعاً كانت هذه الأفلام من المقدمات في ذلك الوقت لأنها تعبر عن أزمة العصر والإنسان. لم يكن بوسعنا السفر لرؤيتها في الخارج، واليوم أرى هذه الأفلام عن طريق الكمبيوتر فيصهيني الذهول.. هل كان هناك وقتها من يحب هذا الهراء حقاً؟؟

كان هناك فيلم شهير لأندي وارهول - عبثري مجنون آخر - يصور



طريق الإنترنت حيث يمكنك كتابة مقال عن أي شيء خلال ثلاث دقائق، فإن  
أحدا لم يعد يحرر على استخدام مصطلح (أزمة العصر والإنسان) هذا بعد ما  
اعتصره الأقدمون كليمونة. دعك من أن كتاب ذلك الجيل قد شاخوا وأصيبوا  
بالنقرس والروماتزم وارتفاع ضغط الدم وضيق الشرايين التاجية، فلم يعد  
بوسعهم الكلام عن أية أزمة سوى الأزمة القلبية. فلتعد لنا كويًا ثانيًا من الشاي  
الثقيل قبل أن نفتح موضوعًا آخر.

لغزير من الكتب المصرية

جروب نصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice

إلى شخص مار يسألته عن هذه البناية فأخبرهما أنها كلية طب باريس!

الرسامون كذلك كانوا يذهبون هناك ليمرحوا، ثم يجلسون في مكاتبهم  
ليرسوا استكتشات سريعة لعشاق جالسين في حدائق عامة وقد أحاط بهم  
الحدام، أو فتيات يجلسن بالفيكروجيب حول مواثد دائرية في مقاه مفتوحة، أو  
متسول يقلد شارلي شابلن. كان بوسعهم أن يرسموا هنا كله وهم في مكاتبهم في  
مصر بالطبع. لي صديق من الرسامين سيثي الحظ الذين لا يمكن أن ترسلهم  
المجلات التي يعملون فيها إلى أي مكان، ملأ لي وهو في بيته المتداعي بحي  
الحسين كراس رسم كاملاً مليئاً باستكتشات رائعة من ميايين روما وستوكهلم  
ومقاهي باريس.. وكان يتوقف أحياناً ليأخذ رشفة من الشاي أو يسحب نفساً  
من دخان العسل.. وأحياناً كان يقضم قشرة من ساندوتش طعامية.. لهذا امتلأت  
السكتشات ببقع الزيت.. طلب مني لو سألني أحد عن مصدر هذه البقع أن أقول  
إنها بقع مايونيز استطقتها الساقية ماريان على اللوحات..

ثم حك رأسه مفكراً وقال:

- هناك فكرة أفضل.. قل إنها بقع وضعناها عمداً على الرسوم لتعبر عن

أزمة العصر والإنسان!

نعم.. برغم أن الحياة تسوء وتزداد تعقيداً فإن من حسن حظنا أن موضة

(أزمة العصر والإنسان) هذه قد انتهت. صحيح أن النصب ما زال ممكناً عن





## القصاصه ما زالت في جيبى

كنت قد كتبت بعض الأشياء التي يجب أن أقوم بها في تلك القصاصه الصغيره من الورق المربع التي أضعها في جيبى كل صباح. وجه القصاصه مخصص للأعمال التي يجب القيام بها، وتظهرها مخصص للأفكار التي تتوالد فجأة.. طبعاً كل هذا بخط لا يُقرأ.. لو مر يوم قلن أقدر أنا نفسي على قراءة حرف..

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم إلينا لتحصل على كل ما هو جديد

لسبب ما نسبت القصة على المكتب، ولسبب ما جلست طيبة امتياز على المكتب فوجدتها.. لم تعرف أنها تخصني فراحت تطالع المكتوب بشيء من الفكاكة:

.. خبز - الكهرياء - عباس أبو شفة - مرقة دجاج - تسلّم المرأة 111

هنا بدا الرعب في عينيها وقذفت بالقصة.. تسلّم المرأة!... من صاحب هذه الكلمات؟.. هنا رجل أقل ما يقال عنه إنه من الطراز الذي (يتسلم المرأة).. رجل لا تمنى أن تقابله في زقاق مظلم أبداً..

طبعاً لم أخبرها باسم صاحب القصة وتظاهرت بأنني لم ألاحظ الموقف أصلاً، وعندما غادرت الغرفة أمسكت بالقصة لأفهم أية امرأة علي أن أتسلمها... هنا وجدت أن العبارة هي (تسلّم المرأة)!!.. امرأة!... هذه همزة وليست علامة تمديد.. كانت مرآة الحمام قد تهشمت وأخذت الإطار لصانع المرايا وقد كان اليوم موعد التسلم. مشكلة هذه القصص التي تكتبها لنفسك هي أنها لا يجب أن تقع في يد غريب.. إنها فضائح مجسدة..

أعاندني هذا إلى قضية القصة وهي قضية معتدة فعلاً، سوف أشرحها لك لو جلست تشرب الشاي معي..

في أحد المنقذيات سألتني قارئة ذكية عن كيفية الكتابة الغزيرة التي

أمارسها، مع كل هذه السلاسل المخصصة للشباب والتي تصدر في مواعيد محددة.. هل هناك إلهام يأتي حسب الطلب وفي وقت معين؟.. أم أن العملية تجارية تماماً، وتعتمد على أن أجلس لأكتب أي شيء كلما حان الوقت؟.. وتساءلت في آخر تعليقها عما أسمته (تزمين الإبداع).. تعبير موفق بالتأكيد..

سؤال مهم، وبدل على أنها لا تأخذ أي شيء ببساطة.. نحن ننتظر الرواية القادمة لعلاء الأسواني أو صنع الله إبراهيم أو إبراهيم عبد المجيد.. الخ.. فنعطي الكاتب وقته ليدرس ويجمع المعلومات، ويكتب ويمزق ما كتبه، ويشرب جالونات من القهوة.. ربما ننتظر عاماً أو خمسة أعوام. لا مشكلة. فليأخذ وقته..

لكنك ستصاب بدهشة بالغة لو قيل لك إن جمال الغيطاني مثلاً ملتزم برواية كل ستة أشهر.. عندها لن تبتلع الأمر تماماً.. إن ستيفن كنج - في رأيي - من أغزر الكتاب العالميين إنتاجاً، لدرجة أن الناشر اضطر لأن يصدر بعض أعماله باسم مستعار هو (رتشارد باكمان) لأن السوق لا يتسع لكل كتابات هذا الشلال، وبرغم هذا لم يلتزم ستيفن كنج بموعد محدد لصنوبر أعماله..

أوضح نموذج لظاهرة الإنتاج في مواعيد محددة هذه هي أجاتا كريستي، التي كانت ملتزمة برواية كل عام.. على كل حال أجاتا لها خلطة تعرف أسرارها.. اللورد تاكري قتل في مكتبه ويصل بوارو ليستجوب الجميع، ثم



يكتشف أن الممرضة هي القتالة.. يمكنها أن تجري تنويعات للأبد لدرجة أن  
بوارو نفسه صار القاتل ذات مرة.

ديكنز كان يكتب قصصه مسلسلة للصحف.. حلقة بحلقة.. كان يلعب  
نفس دور المؤلف الذي يكتب حلقة من التسلسل قبل التصوير بنصف ساعة وهو  
يشرب الشاي الكشري في البوفيه، وذات مرة وجدوا أن المساحة المخصصة لقصة  
(ديفيد كوبرفيلد) أكبر مما قدمه لهم، من ثم جلس في المطبعة بسرمة وكتب  
عشرين صفحة!.. نعم.. عشرين صفحة.. لكن نتيجة هذه الكتابة حسب الطلب  
هي (أوليفر تويست) و(ديفيد كوبرفيلد) و(أوقات عصيبة) و(توقعات عظيمة)  
و.. و.. لهذه الطريقة عيبها كذلك كما لاحظ سومرست موم في دراساته  
الروائية.. فلو كانت قصة ديكنز تحتاج فعلاً إلى العشرين صفحة تلك، لكان قد  
كتبها منذ البداية..

هناك مثال قوي آخر هو شكسبير ذاته.. كان يكتب بالطلب وحسب  
مواعيد عروض مسرح (جلوب)، ومن أجل أكل العيش فقط، وصرغم هذا  
إبداعاته تتحدث عن نفسها.. أي أن الرجل كان يكتشف أنه مقلد فيجلس  
ليكتب (هاملت).. ثم ينتهي المال فيجلس ليكتب (ماكبث).. وهكذا...

أعتقد أنه كَوْن حاسة (الوهبة وقت الحاجة لها) التي سأتكلم عنها  
في هذا المقال، وبالطبع استعمالي لهذه الأسماء الكبيرة للتوضيح فقط، ولا يعني

أنني أعتبر نفسي منهم..

في البداية يكون المرء مزاجياً جداً.. يكتب عندما تضج الأفكار في رأسه  
ويصير البديل عن الكتابة هو الكسرولة على الرأس وتعاطي البروزاك.. يكتب  
المرء كذلك لاستمتاعه الشخصي ولنفسه فقط. إما أن يظل كذلك للأبد ويصير  
أديباً من الأديباء الذين يكتبون ثلاث أو أربع روايات في حياتهم، أو يصير من  
كتاب السلاسل والمقالات الدورية، حيث المطبعة تعوي كجهنم طيلة الوقت  
طالمة الزيد..

لو صارت الأخيرة، فإنه على الأرجح يتوصل إلى حل توافقي لأبد أن  
جميع من يكتبون بانتظام وصلوا إليه، وهو الحل الذي يلجأ له المحترف  
وشبه المحترف: أن يصير إنجاز القصة خليطاً من الإلهام الفني والالتزام  
بخطة نشر..

لا يوجد لدى أحد زر يضغط عليه لكتابة قصة، ولو كان عنده هذا الزر  
لما صار أديباً أصلاً بل هو عامل باليومية. لهذا يقوم المرء بتجميع كم هائل من  
الأفكار والمعالجات والخطط التي تخطر له في لحظات الراحة الذهنية في ملف  
كي يستعملها عندما يحين الوقت. كما قلت هذه عملية صعبة وتحتاج لبعض  
أعوام حتى يعتادها الكاتب وتصير طبيعة لديه.



لقد اقترب موعد قصة مجلة الشباب، ولا بد من تقديمها قبل يوم 10 في الشهر.. ما أفعله هو أن أنتقب في ملف الكمبيوتر المدعو (أفكار) بحثاً عن فكرة تصلح.. هذا الملف بدوره تكون من مئات القصص التي أنون عليها كل شيء يخطر ببالي.. قابلت نات مرة رجلاً وجد سيارة أجرة في ساعة الضروة، فجلس جداري في التاكسي مبهلاً بالمرق، ينظر من النافذة في تشف ورضا عن الكون، ونشوة المختار الذي اختلف حظه عن التعماء الآخرين.. بيتشف أحد المارة النهكيين بالسائق طالباً الذهاب لشارع الجلاء، وهو بعيد جداً عن سيارنا طبعاً، فيقول جاري في ضيق وتهكم:

”جلاء إيه يا عم بس!“

فجأة صار كل من يريد الذهاب لشارع الجلاء سخيفاً لحد لا يُصنق.. لقد شفيت الأمم المتقدمة من داء الذهاب لشارع الجلاء منذ زمن، وأنتم ما زلتم تريدون الذهاب له..؟ لن نتقدم أبداً. هنا أمد يدي في حذر إلى القصة في جيبي وأنون (الراكب - شارع الجلاء - سخف)... هذا كنز صغير وسوف أعود لأضيف هذه العبارة إلى ملف الأفكار عالماً أنني سأستعملها نات يوم... إنه شخصية جاهزة للاستعمال في قصة أو مقال.. لا أنري..

إن الحياة حبلى بالإلهام خاصة في مصر.. النماذج الغريبة تطفو على السطح وتثب في وجهك، ويتباين الأدباء في درجة حساسيتهم لالتقاط هذه

النماذج. هناك قصة رائحة ليوسف إدريس استوحاها من مراقبة طالبة تتسلل خلف بوابة الكلية وتخرج سيجارة تدخنها في نهم، وهو المشهد الذي لا بد أن كثيرين رأوه فلم يفكروا في شيء سوى أن البنات فاسدات الأخلاق. ثمة شخصية رائحة لتشيكوف استوحاها من مدير مكتب بريد يعرفه. وقد حدث أن ذهب لذلك المكتب مع الأديب الكبير (ماكسيم جوركي)، هذا لاحظ جوركي الشخصية وسأل تشيكوف: أليس هذا هو الذي استوحيت منه شخصية فلان؟ بدأ الخجل على تشيكوف واحمر وجهه، كأن هناك من ضبطه متلبساً بفعل قاض!

ليس البحث دائماً سهلاً لأنني أنسى أحياناً معنى ما كتبت من رموز، أو لا أفهم ما راق لي.. على سبيل المثال، سأنتقل لك هذه السطور من ملف الأفكار الخاص بي الذي تجاوزت صفحاته مائتي صفحة:

• فن تحويل الهراء إلى نقاط ملموسة.. كلام هلامي يصير له رأس ونيل.. يبدو الأمر عميقاً حقيقياً..

• رائف ولوحة فتيات أفنيون.. أتيليه القاهرة. (طبعاً لا أفهم حرفاً من هذه العبارة)

• الحياة دائرة مفرغة من التجاهل المتبادل.. (وماذا بعد؟.. ماذا أريد من هذه العبارة التي تتظاهر بالعمق؟.. لا أعرف)

هكذا تتراكم الأفكار في الملف.. وعندما يقترب موعد القصة أنقذ فيه  
عن فكرة تصلح.. فكرة خطرت لي اليوم أو منذ أعوام.. أكمسوها لحماً وجلداً..  
هذه طريقة قريبة جداً من فكرة الإلهام..

أما ما أصنعه بهذه الأفكار فموضوع آخر، وهناك جانب كبير من  
التوفيق في هذا العمل. قد تحول فكرة باهتة تافهة لعمل جيد، وقد تجد فكرة  
رائعة لكنك تحولها لعمل سخيف ممل.. وقد تحول فكرة سخيفة باهتة لعمل  
أشد سخفاً وبهتاناً. على كل حال هناك علامات لا تُدحض على أن القصة  
جيدة:

1- أنتظر موعد الكتابة الليلي في لهفة وأتمنى الخلاص من المضايقات  
اليومية لأتفرغ لها.

2- الشعور بأن القصة تكتب نفسها، أو أنني مجرد قلم في يد عملاقة  
ولا نور لي.

3- الشعور بكرامية لشخصية أو التعلق بشخصية.

لو لم تأت علامة من هذه العلامات، أدرك أن القصة ستكون متوسطة أو  
أقل من المتوسط ولا حول ولا قوة إلا بالله.. عندها إما أن أمسح كل شيء وأبدأ من  
جديد، أو أتركها كما هي آملاً أن يكون نوب القارئ غير نوقي، أو أن يكون

• غرفة الفندق نفسها هي المسخ!

• تعتقد أنه مادام لم يبطل فلتر السيارة فقد قام بما يجب عليه ككائن  
بشري.. (استعملتها فعلاً في مقال).

• البريد الإلكتروني للشيطان.

• لا يمكن أن يسمحوا بتعليقهم على المشائق.. (من هم؟؟ لا أفهم)

• حرب الكواكب.. أنا كين. يا عم أنا دماغي متكلفة.. (غالباً سخرية  
من التعقيد الشديد لسلسلة حرب الكواكب).

• السائق يخالف كل قاعدة مرورية.. مقطورة منحني.. رغبة في تدمير  
الركاب حتى ايقنت ان عيالي تيتيموا.. أين الرادار.. لا تتفاهل بالشر.. نحن  
مستهترون.. ليس الطريق سيئاً... هل التفويل يسبب الحوادث؟؟ تربية  
مرورية دهنية (كتبت هذه الفكرة في مقال طويل فعلاً)

• الأذكى الذين يصلون لمنطهم بسهولة.. الريفي الطريف.. (لا أفهم)

• هذا الألم الشديد في صدري.. هل هذا هو اليوم؟؟؟

• الفتاة والبخور (أتمنى لو فهمت المقصود).

• الكلب مرتاب.. يعرف شيئاً (تبدو نواة دائمة لكل قصة رعب في

التاريخ).



## المختار من المختار



هذه المرة أرجو أن تعد لي كوبًا

حقيقياً من الشاي بدلاً من هذا الماء الأصفر الساخن الذي تعده في كل مرة. الشاي  
الجيد في رأيي هو الذي تمسك بالكوب منه فلا ترى أصابعك من الجهة  
الأخرى.. ويجب أن تكون كميته قليلة جداً، فأنا غير راغب في الانتحار..

سوف أحكي لك اليوم قصة جميلة قرأتها قديماً في مجلة (المختار من  
الريدرز نايجست).. مجلة (المختار) كانت تصدر عن دار أخبار اليوم في مصر،  
وكانت مهمتها أن تقدم لنا وجهاً جميلاً للسياسة الأمريكية والحياة في

أكثر تسامحاً وتفهماً. دعك من أن كتابة قصة سيئة تعيدك للوضع الأمثل: أنت  
في القاع حيث لن تخسر شيئاً ولا تخشى شيئاً، ولا بد أن تكون القصة القائمة  
أفضل ولو قليلاً، بينما القصة الجيدة تضع عليك آمالاً مرهقة.

إن الموضوع طويل ومعقد، لهذا أكتفي بأن أطلب منك ألا تندهش عندما  
أخرج ورقة مربعة صغيرة من جيبي وأدون عليها شيئاً، فإذا نسيته في مكان  
ما فلا تحاول ق اعتمها من فضلك وأعدّها لي!

لنزيد من الكتب الحصرية

جروب نصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice



أمريكا.. مجلة لها نفس سحر مارلين مونرو ونفس مذاق الكولا وظرف ميكي ماوس ودونالد دك، ولأسباب كهذه كانت بعض علامات الاستفهام تحوم حولها دائماً. في ذلك الزمن كانت لفضة (العالم الحسن) لها مذاق استعماري أمريكي خانق، وكان موقف أمريكا ملتبساً، فهي ما زالت واعدة كمحررة العالم بعد الحرب العالمية الثانية، لكن بعض الأتياب بدأت تظهر مع مشاكل كويا وقصة خليج الخنازير وغزو لبنان وسحب تمويل السد العالي ووقف تصدير القمح.. الخ.. ثم زاد الطين بلة مع قضية مصطفى أمين الشهيرة، وفي لحظة ما توقفت تلك المجلة لأعوام، ثم عادت لنا هذه المرة من بيروت.. وأشهد أن الصورة الأولى للمجلة بطابعها الرخيصة وألوانها الباهتة وورقها الذي لا يملح ورقاً للجراند، كانت أروع وأكثر إمتاعاً.. دعك من ترجمتها الرشيقة. الترجمة اللبنانية تثير أعصابي غالباً، خاصة عندما تتحول السويد بمعجزة ما إلى (أسوغ)، والطماطم والخيار يصيران (بندورة) و(كبيس) بالترتيب، واللبن (علكة)، ويظهر ممثل اسمه (غريغوري بيك) وآخر اسمه (كلارك غابل)، دعك طبعاً من (البوظة) التي هي الأيس كريم بالترجمة اللبنانية، بينما عضدنا تعني كارثة وليلة في التخشبية.

أسمعك تظاليني بان أدخل في الموضوع.. طيب.. طيب.. يا أخي راع سني الذي يندق باب الخمسين في حماسة، وراع تصلب الشرايين. يبدو أن

الاستطرد علامة مهمة على تصلب شرايين المخ.. لا شك في هذا..

كانت هناك كتب ومقالات معينة تشد انتباهي جداً في مجلة المختار هذه.. مثلاً كانت هناك رسالة جميلة يكتبها أب لابنه الصغير النائم اسمها (بابا ينسى)، وقد ظلمت أبحث عنها طويلاً حتى وجدتها في أحد المنتديات اللببية. صحيح أنهم اختصروا منها كثيراً جداً لكنها ظلت قصة في الإبداع. هناك قصة بالصور الفوتوغرافية على عدة صفحات.. التكلمة واضح أنها طفلة تقول: "أحب القسط الصغيرة.. أحب الثلج.. أحب المصافير.. أحب الشيكولاته.. أحب لعب الكرة بعد المدرسة.. الخ.. الخ..". في نهاية القصة نرى وجه طفلة زنجية جميلة نامعة هي التي كانت تحكي لنا القصة، ومعها عبارتها الأخيرة: "أنا.. لماذا لا يحبني بعض الناس؟". أما القصة التي سأحكيها لك فهي تجربة حقيقية مرت بكتاب المقال الأمريكي في طفولته..

إننا نحمل في خلايانا الدروس التي تلقيناها في طفولتنا، ولا نستطيع منها فكاً. نحن سجناء بيتنا وطريقة تربيتنا الأولى.

كان المؤلف في السابعة من عمره وكان يهيم غراماً بمتجر المصتر جونز الموجود على قارعة الطريق. السبب طبعاً هو أنه متجر لبيع الحلوى.. هناك عبر النافذة المظلة على الشارع كان يقف ليرمق العالم السحري بالداخل. قطع

الجاتوه المكسوة بالشيكولاته والكريم وقد غرست فيها أعلام صغيرة أو أعواد  
ثبتت عليها الفواكه السكرية. التفاح المكسو بالسكر.. تماثيل مختلفة من  
الشيكولاته، وقلعة شيدت منها تقف فوق جبل من الكريمة. عشرات الأنواع  
من حلوى النعناع التي تنوب في الفم تاركاً نارا لها نضوة..

لم يكن يملك قط المال اللازم لشراء ما يريد، فهو من أسرة فقيرة، وهو  
يعرف أن أسعار هذه الأنواع من الحلوى يفوق قدراته..

إلى أن جاء اليوم الذي انخر فيه ما يكفي..

اقتحم المحل فتحق الجرس الصغير المعلق بالباب يخبر مستر (جونز)  
أن هناك زبوناً. خرج العجوز الطيب الذي يضع عوينات تنزلق على قصبة أنفه،  
وتأمله وهو يجفف يده في منشفة، وسأله:

- ماذا تريد أيها الرجل الصغير؟ -

اتجه المؤلف الصغير إلى قطع الجاتوه وأشار لها بثقة:

- أريد خمس قطع من هذه.. -

ابتسم العجوز ووس يده في قفازين وانتقى للفتى بعض القطع التي  
طلبها، وهو يتلقى التعليمات: - لا أريد التي عليها قشدة كثيرة.. لتكن  
الشيكولاته -

في النهاية أغلق العجوز علبة صغيرة ونظر للصبي متسانلاً، فأشار إلى  
التمائيل المصنوعة من الشيكولاته:

- أريد هنا القطوهذا الحصان.. أريد هذا القصر الصغير.. هل هذه  
عربة؟ .. ضعها لي -

قال مستر (جونز) في شيء من الحذر:

- هل معك نقود تكفي هذا كله؟ -

- نعم.. نعم -

الآن انتقى بعض حلوى النعناع، وكان هناك الكثير من عرزل البنات  
الذي ما زال ساخناً فانتقى منه كيسين، واختار بعض الكعك..

في النهاية صارت هناك علبة كبيرة معها كيس عملاق امتلأ بالأحلام،  
وسأله مستر جونز:

- هل هنا كل شيء؟ .. سأحسب.. -

هنا مد المؤلف الصغير يده في جيبه وأخرج ماله.. أخرج قبضة من البلي  
اللون الذي يلعب به الأطفال ووضعه بحذر في يد العجوز، وقال في براءة:

- هل هذا كاف؟؟ -

لا يذكر المؤلف التعبير الذي ارتسم على وجه مستر (جونز).. ما



بذكره هو أنه صمت قليلاً، ثم قال بصوت مبسوح وهو يأخذ البلي:

-بل هو زائد قليلاً.. لك نفوذ باقية-

ثم بس بعض قطع العملة في قبضة الصبي، ومن دون كلمة حمل الصغير

كنزته وغادر المتجر..

لقد نسي هذا الحادث تمامًا ومن الواضح أن أمه لم تكن فضولية، كما يبدو أنه لم يجرب ذلك مرة ثانية.. فيما بعد غادرت الأسرة المنطقة وانتقلت إلى نيويورك....

الآن صار كاتب المقال شاباً في بداية العمر، وقد تزوج فتاة رقيقة اتفق معها أن يكافحا ليشقا طريقهما.. كان كلاهما يعشق أسماك الزينة لذا اتفقا على افتتاح متجر لهذه الأسماك..

في اليوم الأول انتشرت الأحواض الجميلة في المكان، وقد ابتاعها بعض الأسماك غالية الثمن.. وكما هو متوقع لم يدخل المتجر أحد..

عند العصر فوجئ بطفل في الخامسة من عمره يقف خارج الواجهة وجواره طفلة في الثامنة. كانا يرمقان الأسماك في انبهار..

وفجأة انفتح الباب وتقدمت الطفلة وهي تتصرف كسيدة ناضجة تفهم العالم، أو كأنها أم الصبي.. وحيث المؤلف هو وزوجته وقالت:

-أخي الصغير معجب بالأسماك لذا أريد أن أختار له بعضها..-

قال لها إن هنا بوسعها بالتأكيد، لكنه شعر بأن هناك شيئاً مألوفاً في

هذا الموقف. متى مر به من قبل؟.. لعله وأهم؟..

اتجهت الفتاة إلى حوض أسماك المقاتل السيامي وهي باهظة الثمن

رائعة الجمال، واختارت اثنتين فأحضر المؤلف دلوّاً صغيراً والشبكة وبدأ ينقل

ما تريد.. ثم اتجهت إلى حوض أسماك استوائية نادرة واختارت ثلاث

سمكات... وكانت تصغي لاختيارات أخيها الذي يهتم بالأسماك الكبيرة

زاهية اللون طبعاً..

في النهاية امتلأ الدلو ووجد نفسه يقول لها:

-أرجو أن تعودي للبيت سريعاً قبل أن ينفد ما في الماء من هواء، كما

أرجو أن يكون ما معك من مال كافياً فهذه ثروة صغيرة-

قالت الطفلة في ثقة:

-لا تقلق.. فقط ضع لي هذه وهذه-

بدأ يجمع ثمن ما وضعه في الدلو، وذكر الرقم المخيف للطفلة، لكنها لم

تبد مدركة لمعنى الرقم أصلاً... مدت يديها في جيبيها وأخرجت قبضتيها

مليئتين بحلول النعناع وبعثرتها على المنضدة أمامه وسألته في براءة:

- هل هذا كاف؟ -

هنا شعر بالرجفة.. لقد تذكر كل شيء.. تذكر صبيًا في السابعة يجمع كل ما في محل الستر (جونز) من حلوى منذ خمسة وعشرين عامًا أو أكثر.. تذكر البلي.. تترنن به شعر المستر جونز وقتها؟.. لن تسأل كيف تصرف فقد تصرف فعلاً... رياه!.. ما أتقل الليرات الذي تركته لي يا مستر جونز وما أقساه!..

كان مستر جونز قد وجد نفسه في موقف حساس، ولم يستطع أن يجازف ببراعة الصبي أو أن يشمره بالحرمان.. لم يتردد كثيرًا.. وبالمثل لم يتردد المؤلف..

قال بصوت مبحوح للطفلة وهو يجمع حلوى النعناع ويضعها في الدرج:  
- بل هو زائد قليلاً.. لك نقود باقية"

ودس في يدها الصغيرة بعض قطع العملة، فقالت في رضا:  
- شكراً يا سيدي.. سأخبر كل صديقاتي عنك!"

وغادرت المحل مع أخيها.. هنا وثبتت زوجته من حيث جلست تتابع هذا الموقف وصاحت في توحش:

- هل تعرف ثمن السمك الذي أخنته هذه الطفلة؟.. إنه يقترب من

خمس رأس مالنا!"

قال لها وهو يرمق الصغيرين يهرعان تحت شمس الطريق:

- أرجو أن تصمتي.. لقد كان هناك دين يتقل كاهلي على مدى خمسة

وعشرين عامًا نحو عجوز يدعى مستر جونز، وقد سدته الآن!!"

انتهت القصة..

لو لم تجدها جميلة أو لم تشعر بقشعريرة وأنت تقرؤها، فالعيب يعود

إلى تلخيصي لها. هذه المقالات لا تُلخص وإنما تُعاش.

الآن فكر في هنا جيداً..

سوف تكتشف أن نسيجك الأخلاقي يتكون من عشرات بل مئات

المواقف التي اجتزتها مع والديك أو معلميك، وهذه المواقف تركت لك في كل

مرة دينًا يجب أن تقى به. كثيرًا ما ننسى هذا الدين.. ولا تحسب الأمر

سهلاً.. عندما بكيت أمام أبي لأنني لا أنكر شيئًا من منهج الجغرافيا والتاريخ

لبلة الامتحان، وضع يده على كتفي وجلس يراجع لي المنهج حتى ما بعد

منتصف الليل.. عندما تكرر ذات الموقف مع ابني اعتبرته مستهترًا. المصري

الذي استضافني أسبوعين كاملين في بيته في ذلك البلد العربي إلى أن وجدت

شقة، وبرغم هنا عندما امتلكت شقة صار من الصعب أن أستضيف معي شخصًا





## السلاموني يتكلم

نعم.. سوف أتكلم اليوم عن الناقد السينمائي الجميل سامي السلاموني (س.س)، الذي توفي في مثل هذا الشهر عام 1991. أنا لم أقابل (س.س) قط، لكنني تبادلت معه مراسلات عدة في خطابات مطولة كان يكتبها بخطه الأنيق ويرسلها مسجلة لعنواني في طنطا (وهو درس في التواضع لن أنساه أبداً).

لا أعرفه. الأستاذ الذي أشرف على رسالتي العلمية الأولى، صادف الكثير من الأخطاء في المراجع فأصاحها ولم يعلق، بينما انفجرت أنا غيظاً عندما رأيت أخطئه المراجع في أول رسالة أشرف عليها في حياتي. لكنني أحاول أن أتصرف مثل الأستاذ الأول.. أحاول...

ميراث لا ينقطع.. وما استفله بمن هم أصغر منك سوف يكررونه مع من هم أصغر منهم عندما يكبرون.. بل ربما يكررونه معك أنت... هل بدأت أتحدق وأتفلسف؟.. يبدو أن شايفك هذا من نوع غير نقسي.. لم أسمع عن شايف يلعب بالرموس لكن هذه هي الحقيقة..

أقترح أن تعد لنا كويلاً آخر وتنسى الموضوع.. سأجد لك موضوعاً أفضل..

لمزيد من الكتب المصرية

جروب عصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice

أما عن سيب عدم لقائي معه فهو سبب رومانسي جداً يناسب فتى في العشرينات من عمره، ولا يريد أن يعرف أن كاتبه المفضل من لحم ودم وله ظل على الأرض... كان يوسمي دائماً أن أركب القطار إلى القاهرة، ثم أسقي لرقم 36 شارع شريف حيث نادي السينما.. لكنني لم أجد قط الشجاعة لعمل ذلك..

كنت أعتبر سامي السلاموني موجوداً للأبد، فهو كائن سينمائي لا يمرض ولا يموت، مثله مثل تلك الأطياف الشفافة على شرائط السليويد... ثم فتحت الصحف ذلك اليوم الحزين من شهر يوليو عام 1991 لأجد الأستاذ أحمد بهجت يعني الفارس الذي رحل. عرفت أنني أخطأت التقدير وضيعت فرصتي الأخيرة للقاء هذا الرجل الذي تربيت على كل كلمة كتبها..

في آخر خطاب لي قال: "أحرضك على أن تحترف الكتابة.. لكنني لست مسئولاً عن النتائج!". أنا نفذت هذا التحريض يا أستاذ سامي.. وهأنذا أقدم لك هذا المقال فهل سيروق لك؟

"الناقد السبئي ليس إلا مقدمًا للأفلام، بينما الناقد الجيد معلم ومفكر وفنان متخصص". هذه هي كلمات جون سيمون في كتابه (العقيدة السينمائية)، وقد ظننت أتذكر هذا التعريف طويلاً كلما تعلق الأمر بسامي السلاموني. إن كتاباته لم تكن نقداً سينمائياً فحسب، بل هي خليط من الأدب الساخر والفلسفة والفهم المتكامل للحياة. ما زلت أرى أنك تتعلم الكثير عن الأدب من

مقالات هيكل السياسية، ومقالات جلال أمين الاقتصادية، ومقالات سامي السلاموني السينمائية.

تخرج سامي السلاموني في المعهد العالي للسينما وحصل على دراسات عليا في الإخراج عام 1973، علاوة على ليسانس آداب قسم صحافة؛ أي أنه صحفي سينمائي أو سينمائي صحفي. بالإضافة لهذا كان نموذجاً للصعلوك البوهيمي الحقيقي الذي لا يعرف متى ولا كيف يأكل، ولا أين يبيت ليلته، وبالطبع هو لم يتزوج برغم حبه المجنون للأطفال. إن حكاياته طويلة مع الشقة الآيلة للسقوط التي كان يقيم فيها، وعندما وعدته الفنانة البريطانية فانيسا رجريف أن تزوره عندما تأتي لمصر، كانت مشكلته هي أنه لا يعرف أين يضع هذه السيدة لو فعلتها وجاءت!

أخرج سامي السلاموني أفلاماً قصيرة؛ منها (الصباح) و(مدينة)، كما أنه ظهر ممثلاً في أفلام محدودة منها لقطة قصيرة في فيلم (الحريف). وقد قدم عدداً من البرامج التلفزيونية المهمة مع صديق عمره يوسف شريف رزق الله.

كان السلاموني في كتاباته النقدية يستعمل لغتين: اللغة الوقور الأكاديمية الخيفة التي استعملها مثلاً في مقاله عن فيلم (الدرعة بوتمكنين) في مجلة الهلال، وعن (كاجيموشا) في مجلة الفنون، ولغة بسيطة ساخرة غير متحذقة مثل التي كان يستعملها في مقالاته في مجلتي الكواكب والإنذاعة



والتلفزيون، لكنه اختار اللغة الثانية بون تردد.

كان عدو التحنلق والتظاهر بالعبرية. عندما شاهد فيلم (الجلد) للإيطالية ليليانا كافاني، قرأ في مقدمته كلمات للمخرجة تقول: "الجلد خارطة جغرافية للعالم، سواء كان جلد إنسان أم جلد كلب"، قال بطريقة تلقائية: "أقسم أنني لم أفهم حرفاً من هذه العبارة، فهي ضخمة جداً وغامضة جداً بحيث لا بد أن تكون عظيمة وعميقة، وبحيث صار من لا يفهمها حمزاً. وكثير من الأفلام يلجأ لهذه الحيلة كي يبدو عميقاً، بينما أعظم الأشياء كان دائماً أبسطها".

في شبابه كان متمرداً عصبياً أو كما يصف نفسه (ثائر الشعر والأفكار)، ولم يكن يتنازل أو يتساهل.. وكان أستاذه العظيم أحمد كامل مرسى يقول له تلك العبارة التي كان السلاموني يعشقها: طظ في حضرتك. مع الوقت ازداد تسامحاً وقبولاً للآخرين.. مثلاً بدأ يدرك أن حسن الإمام مخرج متقدم جداً تقنياً برغم أنه أكثر ناقد هاجمه في حياته. لكنه ظل يمقت الادعاء والتصنع: آخر فيلم لجان لوك جودار تشعر بأن الرجل صنعه لنفسه وأصدقائه من العبارة فقط وجودار يقول في المؤتمر الصحفي: ليست لدي مخيلة.. لقد تخيل كارتر والخميني كثيراً، بينما فليليني وروسلييني نظرا للأشياء الحبلى بالمعاني.. هذا كلام كبير جداً بس أنا مش فاهمه!

سامي السلاموني كان طفلاً مندهشاً يعشق السينما بجنون، ولا يفهم

قواعد تلك اللعبة المسماة بالحياة ولم يبرع فيها قط. كتب كثيراً جداً لكنه مع الوقت بدأ يعتقد أن الكتابة لا تغير شيئاً وأنه أصغر من أن يخلق السينما التي يحلم بها. لعل السبب الأهم أن هذا صاحب أعوام الانتقاح الأولى، وقد رصد بحساسية تغيرات المجتمع المصري العجيبة.. رأى الجمهور الذي بدأ يسيطر على السينما في ذلك الوقت، فضلت أفلام عظيمة مثل (روكي) و(جوليا) و(امرأة غير متزوجة)، وكتب يقول:

- "المأساة أن المشاهد المصري لم تعد تعنيه أية جوائز في العالم ما لم تحقق له الأفلام مواصفاته هو الخاصة في (السلطنة).. مسألة مثل التوظيف الدرامي للإضاءة التي نثرثر بها نحن النقاد، تبدو مضحكة جداً بالنسبة لجمهور اعتاد نور الكباريه الساطع". في ذلك الوقت قتل بلطجي عجوز الشاب (عمرو عز العرب) حفيد جمال عبد الناصر في مشاجرة بسبب خروج السيارة من الجراج. الثير هو أن العجوز - وهو رجل أعمال كذلك - كان يحمل سكيناً في سيارته أغمدتها في بطن الشاب. رأى السلاموني في هذا الحادث ما هو أكبر.. رأى عصراً ينبغ عصراً آخر. لقد صار هؤلاء في كل مكان لهم فتحة صدر الطرزانات، ولهم نفس الملامح ويستمعون لنفس المطرب وفي عيونهم صفاقة من شع بعد جوع.."

هكذا ومثل كل هؤلاء الذين يحملون قلب طفل، تحولت الإحباطات



والدهشة إلى جلطات تسد الشرايين التاجية، وكان قلبه هو الذي قضى عليه.  
هؤلاء الأبطال الكبار لا يموتون إلا عن طريق العضو الأكثر حساسية في  
أجسادهم: القلب..

### بالنسبة للممثلين:

كان السلاموني يؤمن بأهمية الممثلين القصوى، فلم يستطع أن ينظر لهم  
تلك النظرة التعالية التي نظرها لهم هتشكوك (قطع الماشية)، أو يوسف  
شاهين الذي استخدمهم كشاحنات تنقل أفكاره. يوسف شاهين اختار لبطولة  
فيلم (اليوم السادس) محسنة توفيق ثم فرديوس عبد الحميد ثم سعاد حسني ثم  
باليدا.. يتساءل السلاموني: كيف يصلح لسعاد حسني ومحسنة توفيق ما  
يصلح لباليدا؟.. هذا يدل على أن شاهين يعتبر الممثلين مجرد قطع شطرنج ولا  
فارق بين ممثل وآخر.

ذات مرة احتدت الفنانة شهيرة على جمهور المسرح الذي قاطعها،  
فشتمتهم وانسحبت. خرجت الأقلام الحادة تمزقها تمزيقاً، لكن سامي  
السلاموني قال: من حق أصغر كومبارس أن يصفي له الناس ويحترموه، لكن  
هذا الجمهور المتوحش الذي يعتقد أنه اشترى كل شيء بفلوسه يستحق ما  
فعلته شهيرة. كان سامي السلاموني من النقاد القليلين الذين جرءوا على نقد  
الجمهور نفسه، فهذا ألام عجيبة فعلاً، لكن الجمهور جعلها تنجح بما

يعني أن الجمهور نفسه ليس على ما يرام تماماً.

### بالنسبة للمخرجين:

لم يتحفظ في إبداء إعجابه بالمخرجين الشباب الراغبين في عمل شيء  
مختلف، ومنهم عاطف الطيب ومدير راضي ومحمد خان، لكنه ظل على  
احترامه للرواد. بالنسبة ليوسف شاهين كان يعتبره مخرجاً عبقرياً بحق،  
لكن يجب أن يبتعد عن السيناريو نهائياً، لأن ما يقدمه يبدو مضطرباً  
غريباً مترجماً إلى العربية. على يوسف شاهين أن يقدم لنا بديلاً لحسن  
الصيفي، فإذا كان هذا هو البديل فإن حسن الصيفي يربح بالتأكيد. كانت  
بينه وبين حسام الدين مصطفى حرب ورق لكنه وقف معه في معركة (درب  
الهموي) الشهيرة، ورأى أن حسام الدين مصطفى مخرج محترم برغم  
أسلوب المراهقة أحياناً في الإفراط في زوايا الكاميرا الغريبة واستعمال  
الزووم. صلاح أبو سيف هو الأستاذ برغم إيمانه العجيب بأنه لا يوجد نقاد  
في مصر. سمير سيف واضح ومحدد.. إنه يؤمن أن سينما الأكشن الأمريكية  
هي السينما الحقيقية، ومهمة الفيلم هي الإمتاع دون أن نحمله أية أعباء  
أخرى.. إنه صادق وينفذ ما يؤمن به بشكل محترم.

### الصهيونية:

لم يخلط السلاموني قط بين اليهودية والصهيونية، وكان أول من حذر



يمكن أن نسمح للمشاهد بأن يراها. "إن المتفرج يعامل بتقاليد رقابية صارمة طيلة العام، ثم تأتي في المهرجانات لتفاجئته بلقطات تذهب عقله دون مراعاة للظروف التربوية والاجتماعية لهذا المشاهد". وعندما رأى الفيلم الاسباني (المراهقات) قال: الفيلم ينتهي بنصيحة بلهاء للبنات ألا يفعلن هذا، بعد ما علمهن لمدة 90 دقيقة كيف يفعلن هذا!". يطالب بأن تتساهل الرقابة مع الأفلام المحترمة العميقة خاصة السياسية منها، أما حذف اللقطات الفاحشة فمسألة يمكن أن يفهمها.

#### المعارك:

معارك سامي السلاموني الصحفية تستحق كتاباً كاملاً، خاصة معركته مع مخرج إيراني غامض كاد يصبح ظاهرة سينمائية لفترة، هو (فريد فتح الله منوجهري) الذي قدم فيلمين في غاية الرداءة لكنهما نالا تسهيلات تصوير وانتاج غير عادية في مصر. بالطبع اتهمه المخرج الإيراني بأنه شيوعي، واتهمه بأنه يشاهد الأفلام وهو نائم.. رد السلاموني بأن منوجهري يخرج الأفلام وهو نائم. هناك معارك كثيرة مع حسام الدين مصطفى، وإن اعترف له بأنه متحضر.. "لم يرسل بلطجية لضربي أو يجعل راقصة تحدد لي موعداً للقائنا كما فعل مخرجون آخرون!". كانت هناك معارك عنيفة مع غرفة صناعة السينما التي تبعدت للخارج بمجموعة معينة من النقاد بينما تتجاهل

مبكرًا من تسلل الإسرائيليين إلى التلفزيون المصري، مثلما ظهر مناحم جولان صاحب شركة كونان في برنامج زودم الذي تقدمه سلمى الضمخ. واعترف بأنه تعلم الكثير عن سينما اليهود من كتابات أحمد رأفت بهجت، التي علمته معنى أن يكون اسم البطلة سارة أو هانا والبطل روبين أو ديفيد. ينقل لنا ما قاله شارلي شابان اليهودي: لو كان ينبغي أن نقيم وطنًا لليهود العالم في فلسطين، فعلينا أن ننقل كل كاثوليكيي العالم إلى فلسطين!.. على الأمم المتحدة ألا تسمح بإقامة بول عنصرية لأقليات. ولأسباب كهذه لم يستطع قط أن يبتلع العبقرى وودي ألين الذي يقحم يهوديته بدون مناسبة في كل أفلامه.

#### الرقابة:

كانت له صدامات كثيرة مع الرقابة الحديدية نعيمة حمدي التي قالت في حوار لها إنها مع التطبيع قلبًا وقالبا، وقالت في حوار آخر إن ثورة يوليو انتزعت ثروات علية القوم. لكنه برغم كل شيء لم يستطع أن يرفض الرقابة بقلب مستريح كدأب المثقفين، وذلك عندما استدعاه مدير الرقابة سامي الزقزوق لعرض خاص لفيلم رائع هو (القمر) تحفة برتولوشي. الفيلم ساحر الجمال لكنه يحكي عن علاقة عاطفية بين أم وابنتها!.. بعد ما رأى الفيلم شعر بأنه عاجز فعلاً عن اتهام الرقابة بضيق الأفق. هناك مشاهد لا

السلاموني ورفاقه تماماً.

وفي سبتمبر 1981 وجد نفسه ضمن البعثين في مذبحه سبتمبر الشهيرة. بالطبع كان الكثيرون قد تطوعوا في تقاريرهم السرية باتهامه بالشيوعية، وهي التهمة الجاهزة ضد أي متمرّد مختلف يقول كلاماً لا يفهمونه.

تراثه:

ترك السلاموني الكثير من المقالات المتناثرة التي تشكل مرجعاً مهماً لحقبة سينمائية كاملة، وأعتقد بلا فخر أن عندي أكمل مجموعة منها؛ بعضها من مجلة الإذاعة والتلفزيون وبعضها من مجلة الكواكب أو الفنون أو الهلال.. وجدت أن الأستاذ (يعقوب وهبي) قام بجمع مجموعة الأفلام العربية في أربعة مجلدات ممتازة صادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، وكان رئيس التحرير هو أحمد الحضري. لكن لم يتم أحد على قدر علمي بجمع ما كتبه السلاموني عن السينما الغربية، وهو تراث ثمين جداً بدوره، فبإذن كتب بقلمه الساحر عن (اي تي) و(حرب الكواكب) و(الفك المفترس).. الخ..؟

هنا هو العرض الذي أقدمه لأية جهة ترغب في إصدار هذا الكتاب المهم. صدقوني إن س.س يستحق هنا وأكثر...



إذا..  
و بلد  
الحميان

إننا استطعت أن تحتفظ بمقتك

بينما كل من حولك قد فقدوا عقولهم..

ويلومونك على ذلك..

إننا استطعت أن تثق بنفسك بينما الناس تشك فيك

وبرغم هذا تسمح لهم بأن يشكوا..



إننا استطعت الانتظار فلا تتعب

فإننا ما خدعك الآخرون لا تلجأ للكذب..

إننا كرهك الناس فلم تدع الكراهية تتغلب عليك..

وبرغم هذا لا تبدو راضياً عن نفسك ، أو تتكلم بحكمة أكثر من اللازم..

إننا استطعت التعامل مع الجماهير ، وبرغم هذا تحتفظ بنفسائك..

وإننا مشيت مع اللوك وبرغم هذا لا تفقد فهمك للناس..

إننا لم نستطع خصومك ولا أصدقائك أن يؤنوك..

إننا كنت تهتم بالناس جميعاً ، لكن لا تهتم بأحد أكثر من اللازم..

فلك الأرض وكل ما فيها..

وما هو أهم.. ستكون رجلاً يا بني!

كل من درس الشعر الإنجليزي يوماً يعرف هذه القصيدة (بالطبع هذا

مقطع منها)، ولربما هو يكرهها لدرجة الجنون من كثرة تكرارها. قصيدة

(إننا) للأديب البريطاني الشهير (دييارد كيلنج).. كيلنج الذي كتب (كتاب

الأدغال) الشهير، والذي نعرفه بمقولة (الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن

أن يلتقيا). إنه نبي الإمبراطورية البريطانية وبوقها.. شاعر المتممرات..

مستر جون بول شخصياً..

برغم هذا تظل القصيدة من أجمل ما قرأت. المشكلة أنها تخع شروطاً

عسيرة جداً لتكون رجلاً حقيقياً.. أعتقد أن من يحقق شروط كيلنج العقدة

يستحق أن يكون بطلاً من أبطال الملاحم وليس مجرد رجل.

عندما أقرأ هذه القصيدة أتذكر على الفور قصة قصيرة رائعة لكاتب

بريطاني آخر؛ هو رائد الخيال العلمي (هـ جـ ويلز).. القصة بدورها من تلك

القصص اللعينة التي تطارد دارسي اللغة الإنجليزية في كل مكان، وقد تأكدت

من كتاب قديم في مكتبتي أنها كانت مقررة على أبي في المدرسة..

لو لم تكن قد قرأت (بلد العميان) فإني أرجو أن تفسح لي صدرك

قليلاً..

كتبت هذه القصة عام 1904، وتحكي عن مجموعة من المهاجرين

من بيرو فروا من طغيان الإسبان، ثم حدثت انهيارات صخرية في جبال الإنديز

فمزلت هؤلاء القوم في واد غامض..

انتشر بينهم نوع غامض من التهاب العيون أصابهم جميعاً بالعمى،

وقد فسروا ذلك بانتشار الخطايا بينهم.

هكذا لم يزر أحد هؤلاء القوم ولم يغادروا واديهم قط، لكنهم ورثوا

أبناءهم العمى جيلاً بعد جيل..

هنا يظهر بطل قصتنا.. (نيونز)..

إنه مكتشف وخبير في تسلق الجبال، تسلق جبال الانديز مع مجموعة من البريطانيين، وفي الليل انزلت قدمه فسقط من أعلى.. سقط مسافة شاسعة بحيث لم يعودوا يرون الوادي الذي سقط فيه، ولم يعرفوا أنه وادي العميان الأسطوري.

لكن الرجل لم يمت.. لقد سقط فوق وسادة ثلجية حفظت حياته.

وعندما بدأ الشئ على قدمين متألمتين، رأى البيوت التي تملأ الوادي. لاحظ أن ألوانها فاقعة متعددة بشكل غريب، ولم تكن لها نوافذ.. هنا خطر له أن من بنى هذه البيوت أعمى كخفاش.

راح يصرخ وينادي الناس، لكنهم لم ينظروا نحوه.. هنا تأكد من أنهم عميان فعلاً... إذن هنا هو بلد العميان الذي كان يسمع عنه، وتذكر المقولة الشهيرة:

«في بلد العميان يصير الأعور ملكاً»

وهو ما يشبه قولنا (أعرج في حارة المكسحين). راح يشرح لهم من أين جاء.. جاء من بوجاتا حيث يبصر الناس.. هنا ظهرت مشكلة. ما معنى

(يبصر)؟

راحوا يتحسسون وجهه ويغرسون أصابعهم في عينه.. بدت لهم عضواً غريباً جداً. ولما تعثر أثناء المشي قبروا أنه ليس على ما يرام.. حواسه ضعيفة ويقول أشياء غريبة.

يأخذونه لكبيرهم.. هنا يدرك أنهم يعيشون حياتهم في ظلام دامس، وبالتالي هو أكثر شخص ضعيف في هذا المجتمع. لقد مر على العميان خصمة عشر جيلاً، وبالتالي صار عالمنا هو الأقرب إلى الأساطير.

عرف فلسفتهم العجيبة.. هناك ملائكة تسمعها لكن لا تقدر على لمسها (يتكلمون عن الطيور طبعاً) والزمن يتكون من جزئين: بارد ودافئ (للعادل الحسي لليل والنهار).. ينام المرء في الدافئ ويعمل في البارد.

لم يكن لدى (نيونز) شك في أنه بلغ المكان الذي سيكون فيه ملكاً.. سيسود هؤلاء القوم بسهولة تامة.

لكن الأمر ظل صعباً.. إنهم يعرفون كل شيء بأنانهم.. يعرفون متى مشى على العشب أو الصخور. كانوا كذلك يستعملون أنوفهم ببراعة تامة.

راح يحكي لهم عن جمال الجبال والغروب والشمس.. هم يصغون له باسمين ولا يصدقون حرفاً. قرر أن يريهم أهمية البصر.. رأى المدعو يدرو قائماً



من بعيد فقال لهم:

"بديرو سيكون هنا حالاً.. أنتم لا تسمعونه ولا تشمون رائحته لكني

أراه"

بدا عليهم الشك وراحوا ينتظرون. هنا - لسبب ما - قرر يدرو أن يغير مساره ويتعدا. راح يحكي لهم ما يحدث أمام المنازل، لكنهم طلبوا منه أن يحكي لهم ما يحدث بداخلها.. ألسنت تزعم أن البصر مهم؟

حاول الهرب لكنهم لحقوا به بطريقة العميان المخيفة.. كانوا يصغون ويتشمون الهواء ويغلقون دائرة من حوله. لو ضرب عدداً منهم لاعترفوا بقوته، لكن لابد أن ينام بعد هذا، وعندها سوف.....!

هكذا بعد الفرار ليوم كامل في البرد والجوع وجد نفسه يعود لهم

ويتعذر، وقال لهم:

"أعترف بأنني غير ناضج.. لا يوجد شيء اسمه البصر.."

كانوا طيبي القلب وصفحوا عنه بسرعة، فقط قاموا بجلده ثم كلفوه ببعض الأعمال. وفي هذا الوقت بدأ يميل لفتاة وجدها جميلة، لكن العميان لم يكونوا يحبونها لأن وجهها حاد بلا منحنيات ناعمة وصوتها عال وأهدابها طويلة... أي إنها تخالف فكرتهم عن الجمال.

لما طلب يدها لم يقبل أبوها لأنهم كانوا يعتبرونه أقل من مستوى البشر.. نوعاً من المجانين.. لكن الفتاة كانت تميل لنيونز فعلاً. ووجد الأب نفسه في مشكلة، لما طلب رأي الحكماء..

كان رأي الحكماء قاطعاً.. الفتى عنده شيئا غريبان منتفخان يسميهما (العينين). جفناه يتحركان وعليهما أهداب.. وهذا العضو المريض قد أتلّف مخه. لابد من إزالة هذا العضو الغريب ليسترد الفتى عقله. بالتالي يمكنه أن يتزوج الفتاة.

بالتطبع ملأ الفتى الدنيا صراخاً.. لن يضحى بعينه بأي ثمن. بعد قليل ارتمت الفتاة على صدره وبكت وهمست: ليتك تقبل.. ليتك تقبل..!

هكذا صار العمى شرطاً ليرتفع الرء من مرتبة الانحطاط ليصير مواطناً كاملاً. وقد قبل نيونز أخيراً وبدأ آخر أيامه مع حاسة البصر..

خرج ليرى العالم للمرة الأخيرة، هنا رأى الفجر يغمر الوادي بلونه الساحر. أدرك أن حياته هنا لحظة آتمة.. الأنهار والغابات والأزرق في السماء والنجوم.. كيف يفقد هذا كله من أجل فتاة؟.. كيف ولما أفضوه أن البصر شيء لا قيمة له برغم أن هنا خطأ؟

اتجه إلى حاجز الجبال حيث توجد مدخنة حجرية تتجه لأعلى..

وقرر أن يتسلق..

عندما غربت الشمس كان بعيداً جداً عن بلد العميان.. نزفت كناه وتمزقت ثيابه لكنه كان يبتسم.. رفع عينيه وراح يرمق النجوم.

انتهت قصة (بلد العميان).

بشكل ما أرى أنها ترتبط بقصيدة (إنا). هناك لحظة تترك فيها أن الخطأ يسود وينتشر من حولك، وفي لحظة كهذه يصير القابض على المنطق والصواب كالتقابض على الجمر. تشعر بالغرابة والاختلاف ولربما يعتبرونك مجنوناً أو على شيء من العته.. الأدهى أن لديك فضائل لكنهم لا يرون فيها أي قيمة. بعد قليل تأتي اللحظة التي تقرر فيها أن تتخلى عن عينيك لتصير كالأخرين. هذه اللحظة آتية ولا ريب فلا تشك فيها.. لكن لو كنت محظوظاً لرأيت الفجر وقتها وعرفت فداحة ما ستفقدته..

أذكر عندما كنت في الوحدة الريفية، أن الرشوة والتقارير الطبية المزورة كانت أسلوب حياة، وكان كل العاملين مندهشين من ذلك الطبيب اللخبول الذي يرفض أن يتقاضى مالاً مقابل أشياء كهذه.. كنت أتذكر قصيدة (إنا) وقصة (بلد العميان) وأقرر أن أصمد أكثر.. أصمد.. عالماً أن أول رشوة أتقاضاها ستكون هي لحظة انتزاع عيني.. سوف تكون حياتي أسهل في بلد العميان بعد هذا وسامير

مواطناً محترماً عندهم..

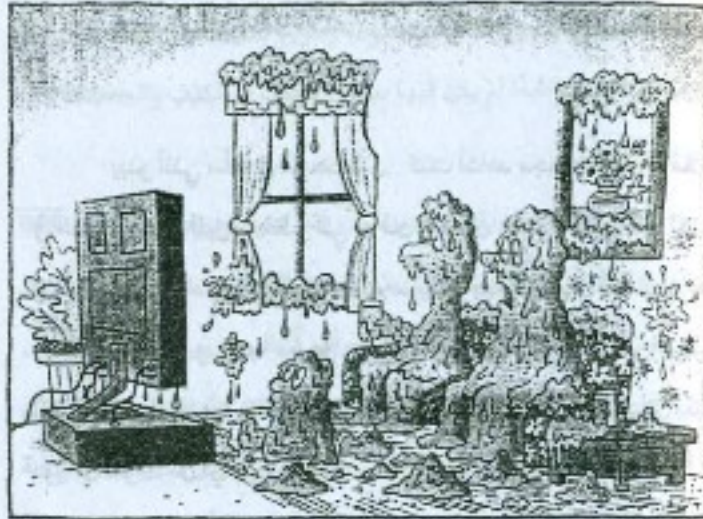
أفلتت بمعجزة من بلد العميان هنا، لأجد الأمر يتكرر.. لحسن الحظ مع أمور أقل فداحة من الرشوة، ولكن المزميمة فيها تترك مذاقاً مريراً في الفم برغم كل شيء..

حتى على مستوى التفاهات يمكن أن تجد الأمور صعبة.. تفاهات مثل منع أطفالك من التهام أكياس البطاطس المقلية لأنها تحتوي مادة أكريلاميد السرطنة.. هنا شيء فشلت فيه تماماً لأن حركة المجتمع والدعاية والوجدان العام أقوى مني. تفاهات مثل التمسك بالدرسة وعدم إعطائهم دروساً خصوصية.. تكتشف مع الوقت أنه لا توجد مدرسة بل ناد كبير تدفع له اشتراكاً سنوياً، ولا يتم تدريس أي شيء فيه على الإطلاق.. تكتشف أنك لن تستطيع أن تختلف عن باقي الآباء وأن أي درجة ينتقصها الأولاد بعد هذا ستكون أنت المسئول عنها لأنك صدقت (كيبيلنج).. وفي النهاية يجد المرء نفسه يقود سيارته في بلاهة متجهاً من مركز الدروس الخصوصية هنا إلى ذاك.

أنت في الدائرة.. لا يمكنك أن تختلف...

وماذا عن الهاتف الجوال الذي كنت تعتبره طريقة عبقرية لامتناس مال المصريين؟.. هناك عظماء لم يقتنوا الجوال قط - من وزن د. جلال أمين





## إعلانات حتى المهمات

الآن تعال نخرب الشاي وننعم بنعمة الصمت.. نحن نتكلم طيلة اليوم ولا نعطي أنفسنا فرصة واحدة للسمع أو تكوين آراء. عندما ننصت فلأننا نرتب ما سنقول في الجملة التالية.. إن مسرحية (الخراتيت) ليونسكو تلخص كل شيء، لكن ليس هنا موضوعنا على كل حال..

وصنع الله إبراهيم - فلماذا لا تقلدهم؟، لكنك في النهاية اضطررت للتنازل.. في النهاية مضيت على خط السكة الحديد الذي رسمه المجتمع واقتنيت الجوال. تفاهات مثل كتابة (دكتور) قبل اسمك.. لم تكن تريد هذا، وأنت تعرف أن الوحيد المسموح له بكتابة (دكتور) قبل اسمه في أعلى المقال هو من حصل على دكتوراه في تخصص المقال. ثم هل قرأت من قبل عن (د. تشيكوف) أو (د. سومرست موم)؟.. لكن الكل يفعل ذلك حتى يصير تنازلك عنه نوعاً من الإهانة الذاتية.. دعك من أنك حاصل على دكتوراه في الطب.. إنن فلنضع حرف (د) مثل الآخرين..

ينطبق الأمر على أمور لا حصر لها.. فقط نكرت الأشياء القابلة للذكر. يبدو أن ضعف الذاكرة جعلني أنسى قصيدة (إنا) وقصة (بلد المعيمان). يقول الحديث الشريف: " لا يكن أحدكم إيمعة، يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وظنوا أنفسهم إن أحسن الناس أن تحسنتوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم". وهذا بالتأكيد يلخص ببلاغة كل شيء قلته

**لمزيد من الكتب الحصرية ..**

**جروب نصير الكتب**

**FB.com/groups/Book.juice**







برجوازيًا ويمشي مع التيار. يرى نجم أنه نجا وأنقذ الشيخ إمام بمعجزة من هذا الشرك. لا أذكر كل الإعلانات وقتها ولو تذكرتها فلن أكتبها هنا لأن معظم هذه السلع ما زال موجودًا. لكنني مثلًا أحتفظ بمودة خاصة لصوت عبد العزيز محمود اللهي بالشجن وهو يقول (أنا الهلامين.. جامد ومتين).

لا يذكر أحد متى ولا كيف عرفنا الشاب الظاهرة (طارق نور) الذي غير وجه الإعلان في مصر للأبد.. هذا الشاب كان له بالتأكيد ارتباط قوي بالبرنامج الأوروبي، وله فكر غربي كامل. قرر طارق نور أن ينتج إعلانات غربية بالكامل على أرض مصر، وبالإستعانة بالأجانب الموجودين في مصر.. هكذا ظهرت إعلانات مبهرة غربية علينا، مثل إعلان مزيل العرق الشهير الذي يدور حول رجل إيطالي يشك في زوجته التي تموي ضحكاتها من الطابق العلوي.. يهرع هناك مصممًا على قتلها فيكتشف أنها تمزح مع مزيل العرق! ثم تفتق نهن طارق نور عن أن الفتاة الغربية تبدو أجمل إننا ليست ملامية لف، وهكذا ولدت إعلانات مثل (واحد اثنين ثلاثة.. حاجيب لك عربية). لا ننكر أنها كانت إعلانات نكية.. أعتقد كذلك أن طارق نور هو أول من كرس مبدأ أن الفتاة المصرية السمراء ذات العينين السوداوين ليست جديدة ولا غزالأ ولا حاجة كما نقتنع أنفسنا. بل هي (بيشة).. هناك فتاة واحدة جميلة هي الخواجية ذات الشعر الأصفر والعينين الزرقاوين، وبإسلام لو كانت تتكلم

بعض العربية للكسرة. هنا قبل أن يسود مبدأ أن هناك طريقة حياة واحدة تستحق الكفاح من أجلها هي الحياة الأمريكية..

كانت هذه سنوات الانفتاح الأولى، وقد ظهر في الإعلانات ذلك الصوت الرفيع المنبهر دائمًا يعبر أصدق تعبير عن الجنون الاستهلاكي الذي دخلنا فيه، فلو كان للاستهلاك صوت لكان هذا صوته.. الحق نفسك.. وفر قلوبك.. انفس.. جدد.. اشتر الآن.. أما زالت معك نقود؟.. يا لك من أحقق!.. هنا بالطبع مع الجرأة اللغوية (الحب من أول أظفة).. للمرة الأولى تكتب (فضمة) بهذه الطريقة.

أحيانًا تنتج الإعلانات في خلق الخرافة.. مثلًا تلك الإعلانات عن السمن الصناعي للهي بالدهون للشبعة.. أولًا هي سلعة غير صحية بتأنا وما تنتج فيه فعلاً هو ملء شرايبك التاجية بالكولستيرول.. ثانيًا مذاقها غير محبب على الإطلاق، لكن الإعلانات تصر على أن (الطعم بلدي وتحدي).. وتدور كل الإعلانات حول خبير الطبخ الذي يتناول ملعقة من السمن البلدي وهذا السمن، ويفشل في معرفة الفارق.. طبعًا هذا كذب ولا يمكن أن يخطئ معتوه في معرفة الفارق، لكن تكرار الدعاية على طريقة الخواجية (جويلز) الذي يصر على أن تكذب بضخامة وتكرر كذبتك، هذا التكرار يجعل الكثيرين يعتقدون أن هذا صحيح أو فيه بصيص من الصحة..



يبلغ تفاق العلنين ذروته عندما تذهب للخليج فتكتشف أن نفس إعلاناتنا بنفس الفتيات موجودة هناك، لكن مع وضع حجاب على رأس الفتيات!.. أي أن هناك صيغة لمخاطبة المصريين وصيغة لمخاطبة دول الخليج الأكثر تحفظاً، والتجارة شطارة في النهاية.

لكنك مع الوقت تكبر سناً و تتعلم الحقيقة التاريخية التي تقضي بأنك أنك لن تحصل على قطع اللحم العملاقة الظاهرة على عتبة الشواية التي اشتريتها، وبالتأكيد لن يبيعوا لك تلك الحمصاء مع السيارة.. عندما تذهب لشركة الاتصالات لن يقابلوك ذلك الفتى الباسم الذي لا يتعب أبداً ولا يؤلمه فكاه من كثرة الضحك..

لكن هناك جيلاً من صغار السن ما زال يتعلم..

بعد عصر الحماسة وعصر الكذب جاء عصر جديد...

منذ زمن بعيد وقيمة الكفاح والعمل معنى مقدس لا يمكن المساس به، لكن إعلانات التلفزيون منذ أعوام اخترقت هذا التابو ببساطة.. المهندس عباس كافح في تعمير الصحراء عشرين سنة حتى صار شيخاً أصلع مهدماً واشترى سيارة مرسيدس.. يا له من أحمق!.. بينما الولد الروش فلان أتصل برقم هاتفى من (0900) وعلى الفور حصل على نفس السيارة!..

هكذا في ثوان سخر الإعلان من قيم الكفاح ومن تعمير الصحراء ومن كل شيء.. لم تعد هناك قيمة في العالم إلا الروشنة والاتصالات..

بدأ الأمر على استحياء مع بداية الانفتاح في أوائل الثمانينات، عندما سمح التلفزيون لمظاهرة شعبية بأن تظهر على شاشته.. هؤلاء ناس حملوا قلوبهم على أيديهم وودعوا أطفالهم من أجل القضية الوحيدة التي تهتم ومن أجلها نضحى بكل مرتخص وغال: المياه المعدنية..

بعدها رأينا مع هشام سليم كيف أن شرائح البطاطس المقلية هي العامل الوحيد الذي يجمع طبقات الشعب وكل فئاته.. وظهر أحمد السقا الذي يضغط عليه الزبانية ويمدونه وهو مربوط في قبو مخيف، لكنه مصر على الهتاف من أجل قضيته: المياه الغازية.. ويوشك أن يقول: والله لأموتن عليها..

المجال الثاني الذي خرقت فيه الإعلانات التابو هو مجال الدين... لم ترحم الإعلانات ظاهرة التدين هذه وقررت أنها مفيدة جداً.. لقد انتهى عصر صوت محمد الطوخي الوقور المتهدج الذي يقول: وهبة الجزء عشرة جنيهات.. هناك إعلان جذاب يسمع فيه الشباب أغنية دينية من اللوبابيل فيتركون لعب الاسكواش - نشاط الشباب المصري المعتاد - ليلبوا النداء.. وهكذا تصل الرسالة: اشترتوا خطوط اللوبابيل الجديدة واعطوني مالكم كي نخضع جميعاً بلذة الإيمان ومستقبل باهر في حب مصر..



الصيحة الأحدث في الإعلانات هي الإعلان الذي لا علاقة له بشيء على الإطلاق.. غرابة لمجرد الغرابة.. اشتهرت شركة (بنيتون) للملابس الجاهزة بهذه الإعلانات العجيبة التي أثار جدلاً، فتارة تقدم لك بألوان ممتازة رجلاً يلتهم سمك القرش جسده الممزق. وتارة تقدم محتضراً يحيط به أفراد الأسرة الباكون، وتارة صورة رضيع ملوث بالدم.. مع عبارة صغيرة تقول: "الألوان المتحدة من بنيتون". لابد أن الموضوع خضع لدراسة نفسية مدققة لكن بصراحة لا أفهم.. معلومتي أن الإعلان يجب أن يكون جميلاً ولا يكون ضربة بالطريقة على الرأس لتتذكر للأبد..

مثلاً أنت تشاهد تلك الحملة الخاصة بـ (وديع) و(تهامي بيه) ولا ننكر أنها ظريفة وأنا نشاهدها في استمتاع، لكن ماذا تريد قوله؟.. هل أن الأفلام العربية أسوأ من الأجنبية؟.. إن لنا اتهامون القناة التي أنتم فيها بتقديم أفلام رديئة؟.. ولما التلميح الوقح في عبارة (أفلام عربي أم الأجنبي) الذي فهمه كل طفل؟.. هناك إعلانات غريبة كذلك حول القناة التي (تتحدى الملل) ولا تفهم عن أي شيء تدور بالضبط. هل القناة هي ذلك الفتى السمج المترهل؟.. إن بشى الدعابة.. الغرض كما هو واضح هو التهريج لا أكثر، واستعراض اللوبيات الفاتنات.. الإعلانات تخطت حاجز الجراءة بالفعل من ناحية الثياب والتلميح.. تقول الخبيرة النفسية داليا الشيمي في موقعها

(عين على بكره): "هي كارثة بكل المقاييس فلو إعتدنا الأمور لهذه الدرجة سوف نجد إعلانات قائمة خلال سنوات قليلة داخل حجرات النوم، دون الحاجة للإيحاءات أو الإشارات، على طراز أفلام عربي.. أم الأجنبي!!!! فكثير من الأشياء مثل الكرامة والشرف والفضيلة وغيرها تماماً مثل الشوب المصنوع من الصوف إن سُحبت منه (غرزة) تحول إلى خيوط لا تستر عورة ولا تصلح لتكون لباساً يحمي الإنسان".

وكالعادة أنا لا أؤمن بوجود مخطط لهدم الشباب.. افتراض وجود مخطط يوحي بأن هناك عقلاً مديراً، لكن الإعلانات في مصر لا تتحرك وفق أي شيء سوى العشوائية كاستعمرة نمل مذعورة.. وغداً سوف نرى التابو الجديد الذي سوف تخرقه الإعلانات لو كان لنا عمر..

هنا الشاي أسوأ من المعتاد.. ماذا؟.. هل صدقت الإعلانات الكاذبة وابتعت هذا النوع بالنات؟.. هلم اسكبه وأعد لنا كوبيين آخرين..



## لهواة الكاتاكوم فقط

أنترك منذ البداية أن هذا المقال مخصص للمهتمين بالكاتاكوم وعشاقه، فإننا لم تكن من عشاق الكاتاكوم فإنك لن تحب هذا المقال! لا بد أن تشعر بالغيظ عندما تقرأ عن أو ترى آثار البلاد الأخرى، وتتذكر ما لدينا في مصر من آثار.. إن مصر تعج بالآثار بشكل لا يوصف، وقد صدق من قال إن التراب الذي نمشي عليه هو طبقة رقيقة فوق بقايا أم لا حصر لها. لاحظ المغامر الإيطالي بلزوني

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم إلينا لتحصل على كل ما هو جديد



إن المومباوات كثيرة جداً لدرجة أن النوبيين كانوا يستخدمونها كوقود رخيص متوافر لإشعال النار بدلاً من الخشب. صديق لي زار معبد الأكروبوليس في اليونان متوقفاً أن يرى معجزة. يقول إنه رأى عموداً حجرياً مهشماً يستند على عمودين، بينما السياح يشهقون انبهاراً.. شعر بخجل من نفسه لأنه لا يشعر بشيء، فراح يشهق مثلهم مردفاً:

"واو!.. جريس!.. واو!"

وكان رأيته أنه لو رأى واحد من هؤلاء الكرنك أو معبد الدير البحري مات فوراً من الذهول.

كل أنواع الآثار موجودة عندنا تقريباً ولا يحضرنى مثال في هذه اللحظة لبلد آخر يضم آثاراً فرعونية ويونانية وقبطية وإسلامية ورومانية بهذه الكثافة. حتى معطف روميل ومدراعات الفيلق الأفريقي المحترقة عندنا.. يا أخي حتى متحف محمد محمود خليل أقرب للسفر صغير. لمانا لا ترى هذه الأشياء؟.. هناك خلل كامن فينا يتلخص في تعبير (الشيخ البعيد سره باتع)، لهذا ينفق المرء ثروة ليرى الأكروبوليس ولا يذهب إلى المتحف المصري في ميدان التحرير، ذلك من أن السياحة الداخلية مكلفة فعلاً، حيث يمكنك أن ترى تركيا بتكلفة أقل من تكلفة زيارة الأقصر وأسوان. وهناك إهمال واضح في الإعلان عن هذه الكنوز وتنظيم الرحلات لها..

كنت قد قرأت كثيراً عن الكاتاكوم Catacombs أو السرايب المعقدة التي يحفظون فيها عظام الموتى مع وضعها على أشكال زخرفية غالباً، وهناك فيلم رعب شهير بهذا الاسم. لهذا كان أول مكان قررت أن أزوره في باريس هو الكاتاكوم الخاصة بها، ولم أعرف أن هناك كاتاكوم مهمًا جداً في كوم الشقافة بالإسكندرية.. أي أن زيارته لن تكلفني سوى ثمن تذكرة القطار للإسكندرية والتاكسي إلى جنوب (حي مينا البصل).. هذه هي المشكلة كما قلت.

إن كاتوكوم باريس بالذات له ذكريات مهمة.. المقاومة الفرنسية كانت تتوارى في هذه المرات المخيفة المعقدة، تحاول التقاط صوت الجنرال ديجول من المنفى عبر أجهزة الراديو، وفوق رجال المقاومة المتوارين كانت جنازير الدبابات الألمانية تمشي عبر موتبارناس فترج الجدران...

(بلاط المعجزات) مكان يتكرر في الأدب الفرنسي.. مكان هذا البلاط كان في الكاتاكوم، المكان الذي يحيا في الليل حيث اللصوص والقتلة والمهربون هم الملوك. كما تذكر الكاتاكوم بأجواء فكتور هيغو في (البؤساء).. دعك من أن معظم القصص التي تظهر جماعة النورانية Illuminati تجعل اجتماعهم يتم في هذه الأقبية.

الوصول إلى الكاتاكوم كان شاقاً فعلاً لأن عدداً لا بأس به من الفرنسيين لا يعرفون بوجوده.. ربما لأن الاسم الذي يعرفونه هو l'Ossuaire



Municipal أي (العضامة الأميرية). تعرف من الفت أنها قرب منطقة اسمها بنفير روشيرو. هكذا تكون السياسة المثلى أن تذهب هناك بالمترو وتساأل أولاد الحلال.

اكتشفت أن هناك طابوراً طويلاً من السياح يقفون جبيناً بانتظار الدخول. يبدو أن قاعدة (الشيخ البعيد) تتكرر مع الفرنسيين كذلك، لأنهم لا يزورون هنا المكان بينما يزوره الأجانب، ولعل الفرنسيين يسافرون لمصر ليروا مقابر كوم الشقافة عندنا. إنهم يسمحون لمجموعات مكونة من 200 زائر بالنزول، وهكذا تنتظر دورك وتتسلى بقراءة التحذيرات التي تنذر بخراب بيتك لو نزلت، إذا كنت مريض قلب أو رثة أو كنت عصبياً أو جباناً أو لك زوج خالة مصاب بالحصبة. الأمر بالتأكيد ليس مخيفاً إلى هذا الحد، لكنه مرهق بدياً.. دعك من شعور رهاب الأماكن المغلقة (كلوستروفوبيا) الرهيب، حيث تشعر بأنك جائع للهواء وأنت مدفون كهذه الأجساد..

دعني أكلّمك عن الكاتاكوم إلى أن يأتي دورنا..

عامّة الكاتاكوم اختراع روماني.. لا أحد يعرف أصل الكلمة.. لكن الكلمة اتسعت لتشمل أية مقابر في ممرات تحت الأرض في أي مكان في العالم.. عندما تبحث في الإنترنت تجد أن هناك كاتاكوم في فيينا.. في تشيكوسلوفاكيا (هل وصلتك الرسالة التي تظهر كنيسة مشيدة بالمعظم والرسالة

تزعم أنها عظام المسلمين؟.. لم أجد أي دليل على ذلك على فكرة). في مصر كوم الشقافة.. في أوكرانيا مقابر أوديسا التي كانت تستعمل كالعامة ليتوارى فيها رجال المقاومة أيام الحرب العالمية الثانية.. هناك واحد في سكوتلندا وأسبانيا.. بالطبع لا بد من واحد في رومانيا بلد دراكيولا..

الطابور يتحرك.. تحرك ممي...

لقد افتتحت مقابر باريس في نهاية القرن الثامن عشر. المشكلة التي واجهت الباريسيين هي أن المقابر صارت كثيرة جداً داخل المدينة، ومع الوقت لم يعد يقدر على الدفن قرب الكنائس سوى الأثرياء. أما الفقراء فكانوا يلقون في حفرة كما يحدث في المقابر الجماعية..

الآن بدأت الجثث تتحلل، وناتج تحللها كان يتسرب إلى الأرض حيث المياه الجوفية.. آسف لأنني أثير اشمزازك لكن النتيجة هي أن باريس صارت تشرب ناتج تحلل الموتى. وكانوا يخرجون العظام بعد فترة كافية ليضعوها في (عضامة) لكن هنا لم يكن كافياً..

هنا خطرت لرئيس الشرطة فكرة أن يتم نقل الموتى إلى أنفاق المناجم خارج المدينة. وهكذا تم اختيار هنا المكان وبدأ نقل العظام هناك.

لا بد أنه كان مشهداً درامياً مخيفاً مهيباً عندما كانت عربة الموتى المغطاة بالأسود تتحرك في الظلام، بينما يحيط بها القساوسة الذين ينشدون



أحياناً جنائزية. وهذا الموكب يتكرر يومياً لعدة أعوام. هناك ينزل العمال بالعظام إلى تلك الآبار العميقة ويصونها في أشكال شبه هندسية. يقال إن هناك ستة ملايين جثة تحت باريس في هذه الأنفاق...

الآن نحن عند الباب بعد انتظار طال ساعة ونصفاً..

هذا الترقب يوتر أعصابي فعلاً... الطقوس التي تمهد للحدث توحى بالتوجس..

نبدأ النزول.. هذه درجات حجرية متعبة جداً جداً.. تشعر بشعور الصخرة التي تسلط في بئر عميقة بلا قرار.. المفترض أنك الآن صرت على عمق عشرين متراً تحت الأرض لكنك تشعر بأنك توشك على الخروج في الصين..

الآن تبدأ المشي وسط ممرات شبه مظلمة. كشافات خافتة على الجانبين وسقف منخفض تتساقط منه قطرات ماء، وبوابات حديدية موصدة على الجانبين يستحيل أن ترى ما خلفها.. هذه تقود لأجزاء أخرى من الشبكة وقد أغلقتها البلدية لأن السياح يمشون من هنا ويضلون طريقهم.. ممنوع استخدام الفلاش في التصوير، لكنك تكتشف أن الجميع يستخدمون الفلاش.. هكذا تفعل مثلهم.. تلتقط بعض الصور لهذا الظلام وتأمل أن تراها فيما بعد على مهل، لتعرف ما كان يكمن في الظلام بالضبط.

هناك رسوم تحمل طابع القرن الثامن عشر على الجدران تحكي قصة

إنشاء هذه الأنفاق. الرسوم نفسها مخيفة..

لا صوت سوى صوت خافت للمياه تتدفق فوق رأسك.. أين الآخرون؟..

الحقيقة أنك وحدك تماماً ولا تعرف متى حدث هذا..

بعد قليل تجد نفسك أمام هذه اللافتة المخيفة التي تقول:

"Arrête, c'est ici l'empire de la Mort"

تحاول تذكر دروس الفرنسية وسنام سلوى و(علي وأمينة) من أيام

الثانوي حتى تفهم هذه العبارة.. توقف!.. تلك هي مملكة الموت.. لها نفس

مذاق عبارة (أيها الخطاة اتركوا وراءكم أي أمل) على باب جحيم نانتي..

والآن تعبر البوابة لتجد نفسك في نفق صنعت جدرانه من عظام الموتى..

عظام.. عظام.. عظام.. حسناوات.. رجال أقوياء.. فلاسفة.. جنود.. شيوخ..

أطفال.. كلهم سواء وكلهم يضحكون تلك الضحكة الصفراء الكريهة.. أشكال

زخرفية لا بأس بها صنعها المجنون الذي قام برص تلك العظام كأنه طفل

يرص مكعبات ملونة..

نعم.. لا بد أن تفكر في احتمال أن ينقطع التيار الكهربائي.. سوف تموت

نعماً وأنت في هذه الأنفاق لا ترى شيئاً. هناك حادث مروع وقع لمدرسة أطفال

عندنا في مصر، عندما كان دخول الهرم الأكبر متاحاً للجميع.. الأطفال الذين في

سن التاسعة كانوا في هذه الأنفاق المخيفة داخل الهرم عندما انقطع التيار

الكهربي.. سادت حالة من التهلح وداسوا بعضهم واختنق البعض، وكانت مأساة..

يمكن أن يتكرر هذا السيناريو هنا..

الاحتمال الثاني خيالي لكنه رهيب.. أن تصحو هذه العظام فجأة!.. لا يوجد كاتب قصص رعب يحترم نفسه لا يتخيل هذا المشهد.. ذكرني أن أكتب قصة تدور في هذا المكان لكن ليس الآن..

لقد مرت ساعة تقريباً ونحن نمشي في هذه الممرات.. مشيتنا ثلاثة كيلومترات تقريباً حسب ما يقول الدليل.. عظام.. عظام.. عظام..

كل عظمة من هذه تمثل حياة كاملة.. حياة حسبت أن السماء والأرض والبحار لها.. لكن هذه الخواطر مكررة على كل حال، وتشعر فيها افتعلاً.. أنت ترغم نفسك على أن تفكر بهذه الطريقة. تذكرت د. لويس عوض عندما وقف على ظهر السفينة يرمق ميناء الاسكندرية بيتعد، وراح يقول لنفسه: "وداعاً يا وطني يا مهد الطفولة ومنع الذكريات.. الخ" ثم فطن فجأة إلى أنه لا يشعر بشيء على الإطلاق وأنه يمارس حالة تقمص أرغم نفسه عليها..

بصراحة العاطفة المسيطرة علي هي أنني أرغب في الخروج بأسرع وقت

ممكناً..

وفي النهاية ترى العبارة الجميلة (خروج).. فتتفرع إلى الدرج. هنا تكتشف حقيقة مرعبة هي أن الدرج كان صعباً عسيراً عند النزول.. أما في الصعود فهو مستحيل!!

تتهار أبوكم اسود!.. نحو مائتي درجة صاعدة بذات الطريقة اللولبية القاتلة.. قدامك واصتان والجانبية تشك بعنف وصدرك يضيق.. المفاجأة الأسوأ هي أن الأمر يشبه البئر فعلاً.. يعني لا يمكن الجلوس على الأرض لالتقاط الأنفاس.. أريد أن أموت لكن لا توجد مساحة تسمح لك بالوت.. هنا فقط تدرك معنى التحذيرات الكثيرة التي قرأتها لمرضى القلب.. لا أحد يفاخر هذه الأنفاق.. لا أحد.. لا شك في أن هذه العظام التي رأيتها هي عظام السياح الحمقى الذين سبوك..

لا تعرف كيف تمر هذه اللحظات ولا كيف صعدت.. لكنك فجأة ترى نور النهار وتدرك أنك ما زلت حياً.. هذا الشارع الواسع هو حي مونبارناس... لقد عدنا لعالم الأحياء.....

لقد زرنا الكاتاكوم معاً... أرجو أن تكون قد أحببت هذه الزيارة..



نتكلم الآن عن كاتاكوم كوم الشقافة التي لم أرها بعد..

معظم مقابر العصر الروماني في الاسكندرية موجودة في الحفانه الغريبه ومقبره (كوم الشقافه) تقع جنوب (حي منيا البصل). المعلومات على شبكة الإنترنت تقول إنها نموذج مشير على اختلاط الفنين الفرعوني والروماني. وقد عشر عليها بالصدفة عام 1900. لا يوجد ما يدل على ثقافة مسيحية فيها، بل من الجلي أنها كانت مقابر وثنية منذ أنشئت حتى توقف استعمالها في القرن الرابع الميلادي..

الدرجات تهبط بك إلى عمق عشرة أمتار!.. لكن عند الصعود راعى الرومان - أولاد الحلال - أن الصاعد يكون مرهقاً استفد ما لديه من طاقة، لذا جعلوا المنحدر شبه أفقي..

يبدو أنني سأزور هذه المقبرة بالتأكيد.. ومن يشري؟.. ربما أكتب تجربتي معها هنا، وربما أصحبك معي.. فقط لو تأكدت من أنك تحب الكاتاكوم فعلاً!.

ما بعد الثورة

لمزيد من الكتب المصرية ..

جروب نصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice

## فواتير وحلبسة وميكروباث



مصر تشهد الكثير من التغييرات في هذه الأيام، ومعظمها تغييرات أسطورية يصعب تصديقها. لو عدت بذاكرتك إلى ثلاثة أشهر مضت لتتذكر ما كان يقال وما كنا نحلم به، لفهمت كم أن الوضع الراهن غريب. لو تخيلت منذ ثلاثة أشهر أن مبارك وولديه يمثلون للمحاكمة وكذلك العائلي وصفوت الشريف وكل لجة السياسات تقريباً، لاتهمك الناس بالهلوسة. ولو تخيلت صفحة واحدة مما صار يكتب في الصحف الحكومية أو يقال في وسائل الإعلام، لبدا لك أننا نعيش فصول أحد أفلام الخيال العلمي.

ثلاثة أشهر فقط حدث فيها الكثير، وتم تفكيك جهاز الدولة بالكامل.. لا يوجد مسمار واحد في ذات موضعه اليوم.. لكننا ننتظر في لهفة

لمزيد من الكتب الحصرية  
بيدج كتب جديدة  
<https://www.facebook.com/kotobpdf2013>



اللحظة التي يتم فيها تجميع الجهاز من جديد ليبدأ العمل... ننتظر أن يعود قلب الدولة للخفتان من جديد، وأن تنهض مصر الجديدة التي استردت عافيتها... هل تشعر بأن هذه اللحظة تأتي ببطء شديد؟..

إن ثلاثة أشهر زمن تافه في حياة الشعوب. عندما تقرأ تاريخ الثورات تكتشف أن المسافات بين فصول قصة الثورة قد تستغرق أعواماً.. فقط عندما تبعد عن اللوحة قليلاً، تتلاشى المسافات الزمنية وتشعر بأن التغييرات كانت خاطفة كالبرق.

عندما تقوم الثورات يتكلم الخبراء عن الفئمي واللامنتمي والمتسلل... يتكلمون عن الثورة والثورة المضادة. يتكلمون عن قلوب النظام القديم... الخ.. أما أنا فسوف أكللك عن العشب... نعم.. العشب الصغير الذي كان موجوداً قبل الثورة وسيظل موجوداً بعدها.

هناك في ذلك الشارع الظلم ترى عربية (يسري)..

معالم العربية تشي بمهمتها.. الرجل يبيع الحلبسة، والحلبسة إن كنت لا تعرف هي ذلك المشروب الحارق الحريف للدغو (حمص الشام).. حلبسة ممتازة. عندما تقصده قل له إنك من طرفي، واطلب منه أن يضع لك كل شيء على الكوب. لو وجد فأراً أو فرقة حذاء سوف يضيف لك بعضه بينما جهاز الراديو الصغير المعلق بالحبال إلى العربية لا يكف عن الغناء بصوت أم

كلثوم.. وخير ظروف لسماع صوت أم كلثوم هي من مذياع رديء كما تعلم، حيث الضوء الاستاتيكية تدخل كل شيء.. عندها تشعر أن الصوت قادم من عالم آخر..

يمكنك إذا اشمازرت من الأكواب أن تحصل على الحلبسة في كيس بلاستيكي طويل معه ملعقة، ولكن كن حذراً لأن تناول الحلبسة وقتها لا يقل خطورة من التعامل مع زجاجة مولوتوف..

(يسري) هناك في كل ليلة حتى الصباح.. بقعة من الضوء الخافت والبخار زكي الرائحة وصوت (الست) طيلة الليل، وفي الصباح يرحل إلى ذلك المكان المجهول الذي يأتي منه باعة الحلبسة. وأعتقد أن مكسب الرجل في أكثر الليالي رواجاً لن يتجاوز عشرين جنيهاً..

(يسري) هناك في كل ليلة..

سمع أن هناك ثورة وأن الشباب يحتل ميدان التحرير، وأن الأمن مسعور والداخلية تطلق الرصاص على المتظاهرين، لكنه ظل واقفاً..

لن يحدث فارق معه.. ربما أممك الشيوعيون بالحكم.. ربما سيطر الأخوان على السلطة. ربما نجح مبارك في الاحتفاظ بكرسيه.. لا يهتم كثيراً بهذه التفاصيل.. إنه بائع حلبسة، فما الذي يمكن أن يصير له بائع حلبسة؟ لا يوجد وضع أقل لو أسوأ..

إنه لا يخشى تغيير الأنظمة، ولا يخشى إفلاس البنوك، ولا تهمه  
البورصة لأنه لم يسمع عنها أصلاً..

بعد أيام معدوبات جاء من يصرخ أن الداخلية تلاشت تماماً.. ذهبت،  
وفي تلك الليلة بالذات عرف أنه لم تعد هناك شرطة.. سادت الإضاءة مدينة  
طنطا أن هناك ميكروباص محملاً بالبلطجية المدججين بالأسلحة الآتية قادمًا  
من المحلة الكبرى - ثلاث ساعة - ومع الوقت صار الميكروباص سبعة  
ميكروباصات. طريقة البلطجية بسيطة هي إغلاق الشارع وإغلاق الرصاص في  
الهواء وتهديد سكان الشارع كي يدفعوا ما معهم من مال مقابل حياتهم، وهكذا  
ولدت النجان الشعبية، وسرعان ما امتلأت شوارع طنطا بالشباب الذين تسليح  
كل واحد منهم بما يقدر عليه، واشتعلت الإطارات عند التقاطعات ووضعت  
متاريس تعطل اندفاع السيارات. ظل أهل طنطا ساهرين متوترين يراقبون كل  
سيارة في رعب.. ولا شك أن بعض قصص سوء الفهم المؤسفة وقعت لأن انفلات  
الأعصاب قاصر على كل شيء.

وسط هذا كله ظل (يسري) ساهراً.. لم يلاحظ أي شيء مقلق سوى أن  
معدلات بيع الحلبة قد ازدادت.. الشباب المساهر في اللجان الشعبية يحب  
الحلبة كثيراً. أما هو فلا خوف عليه.. من المجنون الذي يهاجم بائع حلبة  
أو يحاول أن يسلبه ماله؟..

كلما رأيتَه واقفاً في الظلام بقعة نور وحيدة لا تخشى، تذكرت الراعي  
ويونا... الراعي أدخل زوجته الكوخ وكنا أولاده ووضع خرافه في الحظيرة وكوّم  
الشوفان والشعير.. ثم قال: الآن فلتزأر العاصفة.. بينما يقول يونا إنه ليست  
لديه زوجة ولا أولاد ولا كوخ ولا شوفان ولا شعير... إذن فلتزأر العاصفة!  
فالتزأر العاصفة!!

تمر الأيام.. يسمع يسري أن الثورة نجحت..

ثم يأتي اليوم الذي يقف فيه ليلاً كعادته يصغي لأم كلثوم، وهنا يدنو  
منه هذان العاشقان. الفتاة متأنفة بتلك الطريقة التي توحى بأن هذا خطيبها..  
يبتاع الفتى لها كوباً من الحلبة، وعلى سبيل الرجولة يتأكد من أن كوبه هو  
الوحيد الذي يحوي الشطة.. ينصرفان وهما يتناجيان.. يبدو أن الغد كله لهما  
وأنتهما سعيدان حقاً.. صحيح أن الشوارع لم تصر آمنة تماماً لكن ليس كما كانت  
منذ شهرين..

لاحظ يسري أن هناك من جمع القمامة في هذه البقعة تماماً، ولاحظ أن  
هناك من لون الرصيف باللون الأحمر والأسود والأبيض، ولاحظ أن هناك بعض  
إعلانات كانت معلقة عن الحزب الوطني تم تمزيقها بعنف وغل..  
هو لا يعرف معنى الحزب الوطني ولا يعرف القصة كلها. لا يهتم



بنمية السياسة كلها ما لم يصدر قانون بمنع الخبيسة.. فقط هو يعرف أن الشباب قاموا بعمل كبير جداً ومتفائلون جداً، وهذا يسره بالتأكيد.

هذا عن يسري.. أما عن شلبي فموضوع آخر...

شلبي الصغير ذو السبعة أعوام هو وأخوه ذو الثلاثة أعوام الأب بواب إحتى الممارات في الشارع وهو رجل مكافح نشط..

شلبي الصغير تربي في الشارع.. يقضي في الشارع ست عشرة ساعة يومياً. لهذا هو مشاكس تتراقص على ملامحه ضحكة شيطان صغير.

شلبي يلبس بيجامة (جيل) صغير تبرع بها أحد السكان.. وكما لك أن تتخيل هو اليوم يعيش أروع ساعات حياته. هناك ثورة.. لذا لم يعد يذهب للمدرسة وإجازة نصف العام تستطيل بلا توقف، وهناك زحام عند المحافظة كله ناس يصرخون.. وهناك قنابل غاز وطلقات رصاص وكل ما من شأنه ان يجعل الحياة رائعة. أما موضوع اللجان الشعبية فقد بلغ قمة الإثارة..

هو نا يقف حاملاً عصا مكنسة حتى ساعة متأخرة من الليل ويدق الأرض بها بلا توقف، وأخوه الصغير يفعل ذات الشيء بعضاً أصغر حجماً.. يقفان وسط رجال وشباب كبار السن يمانون الشارع لهلاً.. هناك إشارات مشتتة ولم يعد أحد ينام...

دنوت منه وسألته مداعباً عن عدد البلطجية الذين قتلهم، فقال في أسى وخجل إنه لم يقتل أحداً بعد..

كان هذا في الواحدة بعد منتصف الليل. لا أعرف ما حدث ولا متى أدركت أمه - زوجة البواب - أن بنطاله متسخ، فكان ما فعلته ببساطة هو أن نزعته بنطاله وجذبتته من يده لتغيير له في الغرفة تحت السلم. هكذا وقف هذا المناضل الثوري عاري النصف السفلي يدق بالعصا على الأرض ويصيح مصدراً لتعليماته لأخيه ذي الثلاث سنوات:

-وله.. أي ميكروبات يعدي وأنا مش موجود تكثره على طول!

يريد الاطمئنان إلى أن أمن الشارع لن يتهاوى بمجرد اختفائه. ولنظة (ميكروبات) هنا تنتهي بحرف هو مزيج من التاء والصاد.. لا بد أن هناك أناساً كثيرين وجدوا أنفسهم في الثورة وآلهم أنها انتهت، لكن لن أجد مثلاً أصدق من شلبي الصغير الذي وجد نفسه في الثورة بالعنى الحر في لها.. ولا شك أن يوم موته للمدرسة كان أسوأ يوم في حياته.

نترك شلبي وتتكلم عن المحصل التحمس....

في تلك الأيام تلاشت الدولة تماماً.. لم تعد هناك شرطة.. لا مصارف.. لا مصالح حكومية... لا شيء.. والسبب هو أن النظام يعاقب الشعب الذي ثار

ضده.. أنتم غير راضين بحكمي.. إنن جربوا الحياة من دون دولة. لا توجد دولة.. هناك خطر أن يأتي يوم لا تجد فيه طعامًا ولا ماء ولا كهرباء، وفي الأسبوع الأول للثورة انقطعت اتصالات الهاتف المحمول وخدمة الإنترنت، توطئة لأن تتوقف القطارات كذلك..

وسط هنا كله، كنت أرى هذا الشاب المتحمس الذي يحمل دفترًا ومجموعة من الإيصالات ويدور على البيوت. لا يحتاج لأن يضع بطاقة كي تعرف أنه محصل.. محصل كهرباء أو ماء أو غاز طبيعي..

تشتمل الشوارع وتسمع عن حريق في شارع كذا، وأن المتظاهرين يحرقون بداية كذا، وأن دبابات الجيش تتحرك في المنطقة الفلانية.. الشوارع خالية من الناس، لكن الأخ المتحمس يمشي وحده في الشارع بحثًا عن عنوان آخر، لا يخاف ولا يجري ولا يهدم..

من يصدر له التعليمات؟.. من يدفع له راتبه؟.. لو كان محصلًا فلأية جهة يسلم الأموال التي يحملها؟.. ومن يدفع له إذا كانت جيوب الناس خاوية أصلاً؟

كنت أشعر بالفحس فعلاً.. من دون دولة يمكنك أن تسطو على من تريد، ويمكنك أن تمشي بسيارتك عكس الإتجاه في أي شارع، ويمكنك أن

تتجاهل إشارات المرور تمامًا، ويمكنك أن تتناسى سداد فاتورة الهاتف.. حتى دفاتر مخالقات المرور أحرقها المتظاهرون... لكن يشاء حظي العاثر أن الموظف الوحيد الباقي على حاله وحماسه في مصر كلها هو محصل، وهذا المحصل يعمل في شارعنا!

أدركت أن هذا الرجل أكبر من الواقع ناتته. إنه بطل من الأساطير الإغريقية.. الكاتب المصري الجالس القرفصاء الذي يمثل البيروقراطية المصرية العتيقة. إنه آلة بدأت العمل وانكسر الزر الذي يوقفها فلن تتوقف أبدًا.. سوف يحصل إلى أن يموت وليس لديه خيار آخر..

انطلقت أركض هارياً منه، بينما هو يناديني في إلحاح.. يشب فوق الحجارة والمجاري التي طفحت والرصيف النهش:

- ما اسمك يا أستاذ؟.. لا بد أن عندي فاتورة لك!.. انتظر يا أستاذ!!





بعد أربعة أشهر

ما زال المرء يجد صعوبة في تصديق أن ما حدث في 25 يناير قد حدث فعلاً. لا أنكر أن القلق يلتهم تفكيري، والاطمئنان ما زال بعيداً بعد أربعة أشهر ونيف من انطلاق الشرارة، لهذا يرجع المرء من آن لآخر إلى الخواطر المتناثرة التي كتبها أيام الثورة - أواخر يناير ونصف فبراير - كي ينتشي

لعزيم من الكتب المصرية

جروب عصير الكتب

[FB.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)

قليلاً ويتق بهذا الشعب. لهذا أرجو أن تسامحني إذا شعرت أنني أقول كلاماً تعرفه جيداً.. إنني كمن فرغ من التهام ديك رومي ويحاول أن يستعيد مذاقه على لسانه من جديد.

وصلتني الدعوة لتلك الوقفة يوم 22 أو 23 يناير من عام 2010، وكانت رسالة إلكترونية تحمل عنوان جماعة 6 إبريل. في 6 إبريل كانت أول بروفة لشورة شبيهة منذ أعوام، وقد أحدثت قدراً معقولاً من النجاح، لكن الأمن المصري قد قهر الشرارة سريعاً وكانت هناك نسبة عالية من العيون المقنوعة بسبب الرصاص المطاطي. منذ ذلك الحين أتلقي بانتظام دعوات لوقفات احتجاجية من تلك الجماعة، وهي غالباً تكون في حدود مائتي شخص يهتفون في مثلث الرعب الأمني الواقع عند نقابة الصحفيين، محاطين بألوف مؤلفة من جند الأمن المركزي بشياهم السود وعصيمهم وصيحاتهم المرعبة (هوه هوه).

توقعت أن الأمر لن يتجاوز هذه الحدود، وجاء يوم 25 يناير الذي يوافق عيد الشرطة ولم نسمع شيئاً.. في الصباح كانت هناك بضعة قلائق في لبلبان استحوذت على اهتمام قناة الجزيرة، وعند الظهيرة بدأت المظاهرات تتشكل في ميدان التحرير وميدان عيد النعم رياض وعدد من المدن المصرية.

هنا أصابني الذهول.. لم أتصور قط حجم ولا اتساع هذه المظاهرات، حتى أنه عند الساعة مساءً بدا أن الأمور تقلت من الدولة تماماً.. لقد تم

احتلال ميدان التحرير بالمعنى الحرفي، وضعه مدينة المحلة الكبرى - العقل الصناعي الأخطر في الدلتا - ومدينتي كفر الشيخ والسويس. وكانت المواجهات الأمنية عنيفة إلى درجة لا توصف لكن بدا أن المتظاهرين شديدي الثبات. رفعت سماعة الهاتف وبصوت متحرج قلت لاصديق لي:

-أعتقد أن الأمر أقلت من النظام.. سوف يحتاج إلى الجيش-

راح يضحك ساخراً مني. قال لي إن الدولة في مصر عتيقة عريقة في القمع ولا يمكن أن تززعها مظاهرات خمس ساعات، لكنني لمحت علامات النهاية بشكل ما.. ما أراه يختلف عن أية ذكرى سابقة باستثناء 18 و19 يناير عام 1977 التي أطلق عليها (مظاهرات الخبز) وأطلق عليها السادات (انتفاضة الحرامية).

تزايد الأمور والحشد...

وفي يوم الجمعة التالي الموافق 28 يناير جاءت الدعوة للتظاهر بعد صلاة الجمعة. وجلسنا نستمع إلى خطبة الجمعة.. طالبت جنأً وكناً وكان كلها كلام عن عدم شرعية الخروج على الحاكم وحرمانية التظاهر.. الخ.. تبادلنا النظرات.. ورأينا كثيرين من المصلين يلبسون حذاءهم ويغادرون المسجد دون أن يكملوا الخطبة. هذه الخطبة لم يكتبها الإمام قطعاً بل كتبها (مراد بيه) أو (أشرف بيه) ضابط أمن الدولة في مكتبه. وقد تكررت الظاهرة في كل مسجد في



كل مدن مصر تقريباً. (بعد نجاح الثورة راح نفس الإمام بطري الشوار ويهتفنا على أننا صرنا قادرين على الكلام بلا خوف).

في ذلك اليوم حدث أغرب شيء في العالم. توقفت الهواتف المحمولة عن العمل وتوقفت شبكة الإنترنت تماماً. عمى إلكتروني ورقمي كامل وضعونا فيه، حتى أننا عدنا للماضي مئة عام.. لقد قرر النظام إنه ما دام الاتصال بين الشباب يتم عبر الإنترنت وعبر الهاتف المحمول.. إن فالويل لهما.. أما عن قناة الجزيرة فتلاشت من أجهزة التلفزيون... وبدأ أن الحرب الإلكترونية في ذروتها.. تتلاشى الجزيرة فيتم البحث عنها.. ثم تتلاشى من جديد... الخ.. قناة سي ان ان ترمنا ما يحدث في شوارع القاهرة مع تعليق يقول: "الحقيقة أن مصر لم تعرف قط يوماً كهذا!". ومصطفى الفقي على قناة الجزيرة يتساءل في دهشة: أين الرئيس مبارك؟.. لقد حان وقت ظهوره!.. فجأة صار (منا) وليس (منهم). التلفزيون المصري وقنواته الفضائية يرسم لنا القاهرة مليئة بالورود ونيلاً هادئاً صافياً..

لا أعتقد أن هناك حكومة قد بلغت هذا الحد من قمع المعلومات من قبل، أما من يتصل بالمحمول طلباً للغوث أو الإسعاف فله الله. لكن بدأ بوضوح أن النظام لم يعد يبالي بصورته أمام العالم أو يدعي أنه متحضر. وكان هذا اليوم من أعنف أيام الثورة، على أنه انتهى نهاية محتومة هي أن الأمن تراجع تماماً

وقد أنهى آخر ما عنده، ونزع الضباط ثيابهم وفروا من سخط الجماهير.. وعند الساعة مساءً كان الأمن قد ناب تماماً واستعان بقوات الجيش. كنت أقبل زوجتي بالسيارة لنزوت بجيبتها في المستشفى، فلم أستطع أن افتح عيني من راحة النياز المسيل للدموع برغم أن شارع البحر كان غالياً من الناس تماماً، فقد انتقل الزحام لمواضع أخرى، من المدينة.. ومن بعيد كتبت أسمع صوت الرصاص والانفجارات الصادرة من تدمير قسم أول وقسم ثان بطنطا على أيدي البلطجية..

مبارك يظهر في ساعة متأخرة بعد ثلاثة أيام من الأحداث ليلقي خطاباً لا قيمة له تقريباً.. وكما يقولون: متأخراً جداً قليلاً جداً.. كل ردود أفعاله متأخرة وبطيئة، وفي كل مرة يتصرف ككاتب قصص بوليسية يحاول أن يقدم للقارئ آخر شيء يتوقعه في كل خطاب..

- الغباء الأمني: ذلك المزيج الفريد من الشراسة والغباء الذي لا تجده إلا لدى الضباع. كان المتظاهرون يمسجون لله خلف إمامهم عندما تقدمت مصفحة الأمن وراحت ترشهم بالماء بلا توقف. أدرك كثيرون القيمة الرمزية للمشهد وانضموا للمساجدين الذين وصلوا الصلاة غير مباليين بسيل الماء. لو أن أبا لهب أو شارون كان في القاهرة لما جرؤ على تجاوز هذا الخط الأحمر، لكن الحقيقة هي أن الأمن كان قد فقد أعصابه تماماً ولم يعد يحاول أن يرسم اهتسامه متحضرة، وسوف يظل هذا المشهد خالداً لأنه قد تم تصويره. ترى عربات



الأمن تندفع وسط صفوف المتظاهرين لتسحق عشرات منهم، وترى ذلك الشاب الذي يقف بلا سلاح أمام القنافة فيلوح بذراعيه في حركة مسرحية جديرة بقصص مكسيم جوركي.. للأسف لم يكن القنافة من قراء مكسيم جوركي؛ وقد أطلقوا عليه طلقة واحدة أرنته صريعاً وسط صراخ الضوأة اللاتي صورن الشهيد. هذا الموقف جدبير وحده بأن يشعل ثورة.

- كلما هبت الشعوب العربية غاضبة ظهرت صورة جمال عبد الناصر من مكان ما.. عبد الناصر يصر على العودة فلا يريد أن يترك الشعب العربي وحده أبداً.

- العبرة بالنهايات: مبارك بطل حرب أكتوبر الواعد أنهى حياته برقصات الفرح في الشوارع والرقص فوق الدبابات، وعبارات التهانى يتبادلها 85 مليون مصري لرحيله.. لشد ما تتألم النفس إذ ترى ما وصل له هذا الرجل بسبب التعالي واحترار شعبه والاتصاف بكرسي الحكم وابنه جمال وكل المليارديرات الذين ترك لهم بلداً بحجم مصر كي يتسلوا بإدارته. أبداً لن يتذكر أحد حصني مبارك بحرب أكتوبر بعد اليوم.. سوف يتذكرون أنه الرجل الذي كاد يحرق مصر وكاد يشعل فيها الحرب الأهلية لمجرد أن يبقى يوماً آخر.

- كانت السياسة واضحة: إما ان أستمر في الحكم لو أسلمكم مصر محروقة على طريقة نيرون (وما زالت هذه السياسة قائمة). بدا هذا واضحاً في

عبارة (أنا أو الفوضى) التي كررها في خطابه، وكان التنفيذ على الأرض جلياً.. لقد انسحبت الشرطة تماماً من الشوارع.. لم يعد هناك رجل مرور واحد، وفي الوقت ذاته أحرقت كل أقسام الشرطة في البلاد تقريباً، وفتحت السجون ليخرج منها الخطرون تحت تهديد السلاح.. الخطرون الذين سطوا على أقسام الشرطة ليأخذوا السلاح، من ثم سادت ظاهرة البلطجة والسطو المسلح. بدا واضحاً أن النظام يمارس عقاباً جماعياً على الشعب المصري.. انهوا هذا العصيان قبل أن تتبخر البلاد. وكنت على يقين أنه في لحظة من اللحظات أصدر النظام تعليماته للدبابات بإطلاق المدافع على المتظاهرين أو وطنهم بالجنائزير، كما حدث من قبل في الصين، ورفض الجيش طبعاً. ما كنت لأتدهش لو حدث هذا لأن النظام برهن عن احتقار واستخفاف بالمصريين يفوق الوصف.

- الإعلام المصري مارس لعبة قنرة.. اللعبة التي مارسها الإعلام هي لعبة التخويف، حيث راحت مكالمات ربات البيوت المنعورات تنهمر على وسائل الإعلام: أنا خائفة وعصابات البلطجية تملأ الشارع.. انقذونا!.. لا تخافي.. سوف نرسل لك الجيش حالاً.. بالفعل بدأت اللعبة تؤتي ثمارها. وترددت عبارة "ما الذي فعله بنا هؤلاء المجانين؟.. كنا مظلومين يستب حقنا ومالنا وكرامتنا لكننا كنا في أمان!.. وفي هذا المناخ تتضخم الشائعات بقوة.. الحافلة التي أنزل البلطجية من فيها من نساء واغتصموهن.. من الذي



رأى هذا ؟.. لا أحد.. كل واحد سمع هذا من فلان.. وفلان سمع هذا من فلان.. الإعلام المصري يمارس الكذب ثم الكذب ثم الكذب.. هذه قلة من العملاء تلقت تدريباً على الإرهاب في إيران والنوساد. وتنهمر المكائات ليقسم كل من يتصل أن هناك عملاء يتكلمون الإنجليزية يملئون ميدان التحرير، وهم يوزعون على كل شاب يهتف ضد مبارك 20 يورو ووجبة كنتاكي. وفي المجتمع المصري سادت دعاية تسمية الكشري والفول باسم كنتاكي.

- البقاء في السلطة ستة أشهر أخرى لم يكن لمجرد الحفاظ على كرامة الرئيس، أو تسليم البلاد في سلام كما قال مبارك.. وإلا فإنا نستطيع عمله في ستة أشهر مما لم نستطع عمله في ثلاثين عاماً ؟.. لا شك أن المطلوب كان فترة تسمح للحيتان بترتيب أمورهم وإخراج ما تبقى من أموال لهم في البلاد وإخفاء آثار جرائمهم. لقد انكشف جزء من المجرور ففاحت روائح عطنة.. لكن غطاء المجرور ظل يخفي الكثير، وقد كانوا حريصين على إبقاء الغطاء فترة أخرى.

- عندما يصلني خطاب ملهوف من سوريا وخطابات ملهوفة من تونس ومن السعودية ومن.. ومن.. وعندما أجد أن فرحتهم حقيقية برحيل الطاغية، حتى لأرشك أن أرى الدعم في عيونهم. فليقل من يريد ما يريد، لكن الوحدة العربية حقيقة.. وحدة اللغة والجغرافيا والتاريخ المشترك، بعد ما علمونا نبضمة عتود أن هذا وهم صنعه الحكومات الشمولية المتبقة. دعك من التهاني

للشعب المصري من كندا وكوريا والنرويج وفرنسا و.. و... إن هذه الشعوب لا تحترم سوى الكرامة مهما بدا أنها تشفق على الشعوب المقهورة.

- هذا الحدث يذكرنا بثورة 1919 ويتجاوزها.. لقد استخرج من النفوس المصرية طاقتها والكثير من حماسها وتوجهها.. كما قال أحد الشباب: لقد عرفنا الطريق لميدان التحرير وسوف نعود كلما اقتضى الأمر. إن الدكتاتور القائم لا وجود له أو سيفكر كثيراً جداً قبل أن يظلم شعبه. إن الغد صعب والتحديات جمة، لكنك على الأقل من يصنعه وليس لجنة السياسات.

ويريدون أن يضيعوا هذه السيمفونية العظيمة الجميلة في مظاهرات طائفة وفتوية حمقاء، وتفرق بين ضيق أفق البعض، واللؤامرات التي اجتمعت عليها نئاب الحزب الوطني التي دفعت الملايين لتدخل المجلس ثم وجدت نفسها في الشارع، والتسلقون الذين جاءوا من فراغ، ونئاب أمن الدولة التي تملك الوسيلة والرغبة في تدمير كل شيء، ودول تمثل أعمامنا ودول تمثل الرجعية..

يجب أن نلزم الحذر ولا نضيع كل شيء.. يجب أن نتماسك ونؤجل المصالح الذاتية بعض الوقت. يجب أن نعمل وننتقم ونتسامح، وإلا فذبح نخون تلك الأيام القدسية.. نخون كل شهيد لقي ربه من أجلنا.



## سجن الديابة ورق

أحاول أن أبتعد بك عن السياسة بعض الوقت، لكن هذا مستحيل..  
السياسة في هذه الأيام تتسلل من تحت الأبواب وعبر خصاص النافذة ومن تحت  
الملاءة. أول ما تبدأ به يومك وآخر ما تنتهي به.. هناك 85 مليون سياسي

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب خصري على جروب عصير الكتب

انضم إلينا لتعلم على كل ما هو جديد



محنك في شوارع مصر، وكل واحد لديه رأي.. آراء تبدأ بأمثال هيكمل وهو يدي وتنتهي بسائق التاكسي الذي يبدأ وينهي كل عبارة بـ (يا با شمهندن). حتى بائعة الخضار على الناصية أخبرتني وهي تدس الهاتف الجوال تحت الطرحة لتتفرغ يداها لتتشير الكوسة، صارحتني بأن التعديلات الدستورية غير كافية..

هكذا قررت أن أتكلم في السياسة لكنها ليست سياسة بالضبط. اعتبرها ذكريات.

أيام الحيرة الأولى في الكلية والتقلب في محيط الأفكار، والبحث المنهك عن حقيقتك.. أنت تعرف من أنت.. لكنك تجهل تمامًا ما أنت. في هذه السن التهمت كل كتاب وقع تحت يدي تقريبًا، ووضعت عشرات الخطوط تحت السطور، ولم يكن من الغريب أن يلتقي في ناري يوم السبت مجموعة من الأصدقاء اللتحين الذين يتحدثون عن تطبيق الشريعة وبولة الخلافة، وكان اسمهم في ذلك الوقت (الجماعة الإسلامية)، وفي يوم الاثنين تجد عندي في الدار مجموعة من المثقفين المعيين الناحلين الذين يتكلمون عن دكتاتورية البروليتاريا وحتمية الثورة العالية، وكان كل واحد يترك لي كتبًا.. لهذا كان من السهل أن ترى أشعار هاشم الرفاعي إلى جوار أشعار لوركا...

قد يخطر ببالك أن المجموعة الأولى كانت أكثر أمنًا في ذلك الوقت، لكن دعني أذكرك أن هذه هي الأعوام التالية لاغتيال السادات مبكرًا، عندما عرف النظام أنه من المستحيل احتواء الإسلام السياسي أو مهادنته كما حسب السادات، وبالفعل دخل عدد كبير من المشايخ السجن، ومع الوقت صارت اللحية جريمة أمن نولة في حد ذاتها. لكن النظام كذلك ظل يخشى الشيوعيين والناصريين.. صحيح انه لا يفهم حرفًا مما يقولون لكنه يراهم مريبين بما يكفي.

كان لنا ذلك الصديق الذي يمكن تلخيصه بعبارة واحدة (مناضل ماركسي). حماسه لا ينتهي ولا يكف عن الكلام والجدال.. أعتقد أنه اعتقل بعدد شعرات رأسه، وقد صارحته أكثر من مرة بأنه يجد معدنه وجوه الطبيعي في الاعتقال والحجز وأمن الدولة.. هذه دعابة لم يفهمها قط على كل حال. ولم يكن مستعدًا لقبول كلام هيكمل، حول أن التنظيمات الماركسية لم ولن يكون لها مستقبل في العالم العربي أبدًا.

أقروني ذات مرة شريط الكاسيت هذا فسمعته وانبهرت. كانت عليه أغان طازجة جدًا ورائعة الجمال، وكان التسجيل جيدًا برغم أنه لم يتم في ستوديو. أنت سمعت تسجيلات الشيخ إمام وتعرف هذه الخوضاء الكنوسية التي تتبين فيها الحروف بصعوبة، لكن التسجيل هنا كان واضحًا.

وعرفت أن صاحب هذا الصوت والألحان شاب مناضل يدعى (فاروق

الشرنوبلي)، ولم أكن أعرف الاسم قط قبل ذلك. للأسف لا أذكر اسم صاحب الكلمات الرائعة، ولفترة طويلة ظلتت أذنن هذه الألحان، وكتبتت في خيالي فيلماً كاملاً تلعب فيه هذه الأغاني دوراً محورياً. كان هناك فيلم من إخراج (هال آشي) اسمه (مرتبط بالمجد - 1976) عن مطرب شعبي أمريكي يدعى وودي جوتري، وهذا المطرب اختار - على طريقة سيد درويش - أن يغني للفقر والمطحونين.. بنام معهم في العراء أو في عربات قطار البضاعة ويأكل ما يأكلون، وقد رفض كل فرصة ليصير مطرباً ثرياً شهيراً. أعتقد أن أغاني الشريط صالحة جداً للنسخة المصرية من الفيلم.

بعد فترة أخبرني صديقي المتحمس أن (فاروق الشرنوبلي) سيقدم حفلاً في حزب التجمع بطنطا ليلة الخميس القادم. طبعاً كان لابد أن أذهب. لم أخبر أبي لأنه كان يعتبر حزب التجمع مزوناً بمجلات.. ما أن أدخل حتى يفلتوا المكان بالجنازير ويدفعوا البناية كلها على المجلات إلى أمن الدولة حيث يحرقونها بالكهرباء وتموت.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أزر فيها حزب التجمع.. وفوجئت بأنه شقة ضيقة جداً في الطابق الأرضي، ضمن مجموعة من المساكن الشعبية. شارع ضيق بدوره طفحت فيه المجاري. والشقة بها ما لا يقل عن 200 شخص مما جعل الحركة شبه مستحيلة، لكن يظل بوسعك أن تطلب كوباً من

الشاوي الساخن يملك بمعجزة ما بون أن يحرق أحناً.

كان (الشرنوبلي) مسلحاً بعود وله نظرات ثابتة مليئة بالحماس تلتسع من وراء نظارته. وكان يرتجف انفعالاً.. تذكرت على الفور تلك الساحر الذي كلما نطق بتعويذة نقص عمره ثلاثة أعوام. لا شك أن كل أغنية يغنيها هذا الشاب تختصر من عمره قليلاً، لأنه يحرق في غنائها أعصاباً ودمماً. لن أنسى وقفته حاملاً العود وخلفه مكتبة معلقة بها بعض المطبوعات، فكلمنا انفعلم ارتطم بالمكتبة وأسقط مجلداً أو اثنين.

ومع صوته الساحر ودقات على المنضدة من أحد رفاقه، دارت السهرة...

كانت الكلمات شبيهة بالقنابل... الأغاني قادمة من عالم الشيخ إمام فعلاً، لكنها مختلفة تماماً. أذكر منها تلك الأغنية:

الجمر له ف قلبنا احنا.. ما خطاش الضلوع

والحلم له في العيون واحنا.. له ف مطارحنا نبشر بالطلوع

والسجن يتمر بأنفاسنا وناسنا.. تلمح العسكر وتسكر بالخضوع

واحنا على جبل الخلاص

موتنا محتم بالنزول أو بالرجوع



ما لناش سبيل غير الظلوع

آن الأوان.. ما بقاش في غضب العمر جوه القلب يا عشاق مكان

يا لله اصرخوا..!

وبكل خوف العمر على النهر البارز في الضلوع..

يا لله اطلقوه!

واتوجعوا لحظة ما حيشق الضلوع ساعة الظلوع اتوجعوا!

واتمتعوا لحظة ما حيطير ف الفضا فارد شرعه اتمتعوا!

أما عن اللحن يا أخي فلن تصدقه. بالفعل يمكن لهذه الأغنية أن تصنع

ثورة. إنها المادة الخام للشعريرة..

وهذه الأغنية الحزينة:

يا مصر يا أم الغلابة.. سجن الديابة ورق

زي القصور المهابة... ف الثورة راح تتحرق

يا مصر شدي الربابة.. خللي الغنا ينطلق

يسرح يطوف ف الحوارري.. يملا الفيضان والبراري

من كان يتصور أن (سجن الديابة ورق) فعلاً؟.. كان على هذه الأبيات

أن تنتظر 28 عامًا كي تثبت أنها حقيقية، أما في ذلك الوقت فقد كانت

الداخلية تبدو شيئاً عصبياً على القهر بأية قوة أرضية. وكنا ننظر من النافذة

فترى جوار عمود النور ذلك الرجل الريفي ذا الجلباب والمعطف الذي يمسك

بعضا ويحاول أن يبدو طبيعياً. هل هم يوزعون على الخبيرين زيهم الرسمي

(الأيونيفورم) قبل العمليات؟.. هل يعتقدون أنه يخلع أحناً، أم أن الظلوع أن

يعرف الجميع أنه مخبر؟..

لم ينس الشرنوبي أن يعني أغنية ظريفة يغازل فيها هذا المخبر الذي

(ترمه عيونه الجريئة من الشباك). وكانت هناك أغان ساخرة يقلد فيها لهجة

السايات (يا مصريكاني.. فين الأمانى المعجباتي؟.. وسنة 80؟.. يا ولادي

80.. فيلا وبواب.. خنزيرة عالباب.. وميه سخنة ف اللواسير.. وعلى

الجمعية مفيش طوابير).

كان السايات قد وعد للصريين بقدم الرخاء عام 1980 وانتهاء كل

مشاكلهم.. طبعاً لم يبد أي أثر لهذا في الأفق وما زلنا ننتظر!

أما أغنية الأفراح الحديثة فيغنيها الشرنوبي:

الحفة والمبجحة....

وعرفت صبية وعيني عليها وصينها عليا.. وعين الناس مستفنية

وقبل الحنة أبوها وأخوها وخالة وعمة قالوا لي : استغنى!

حتدخل جنة.. لا بد العهر بألف وجنبيهم مية!

طبعاً كان بوسع 1100 جنيه أن تحدث المعجزات في ذلك الوقت  
(عام 1983).. قبل أن تصير الحد الأدنى الممكن للحياة.. وهكذا يكون على  
العريس البنائس أن يجمع هذا المبلغ الفادح:

وظلعت ألف

نزلت أرف

ودخت سنين وعملت الألف

لاقيت الألف في سوق العفش ما بتكملش..

العفش بالقيين وشويه

هكذا يتجه إلى النجار طيب القلب:

عم يا نجار.. أنا بالي احتار..

طب ما ترخص لي السعر يا عم.. ماهيتي يا نوب على قد الحال؟

- يا بني أنا شغال.. لا أنا صاحب مال..

ولا باملك ف الورشة باهيه.. غير عرقي وأجر اليوميه..

أعمل لك كتبه وطبليه؟

- وخلو الشقة يا بلديا؟

- الفرشهم ف رصيف يا عنيا..

- حتشيلني أوناش الداخلية..

- طب سافر لبلاذ مفتية..

هنا يتوقف العريس التعس وقد أدرك أن هنا هو الحل الوحيد فعلاً:

عيني يا بلدي.. وضقتي عليا..

زاحموك هلبية وحرامية..

لا الحنة ولا الصباحية..

لا الحنة ولا الصباحية.

كل الغناء بالعامية؟.. لا.. هناك لحن لقصيدة محمود درويش الشهيرة

(سجل.. أنا عربي)... وهو لحن لا يوصف..

وهناك أغنية شبيهة بأغاني عمال التراحيل تحمل في قلبها أحزان هذه

الأرض منذ عهد مينا:

وكل ما أطل



الشمس أم الشعاع

والوردة بنت الربيع

كل المتاع مشاع

والأرض ملك الجميع

أبدأ لن أنسى تلك الليلة.. ولقد رأيت عروضاً غنائية فاخرة بعد ذلك، لكنني لن أنسى كل هذا الصدق وكل هذه الموهبة. وقد ظللنا جميعاً منتشين لا نلمس الأرض برغم أن كلاً منا لاحظ أن شخصاً ذا جليباب يتبعه بعد الحفل، وكلما توقف توقف الشخص ليتظاهر بأنه يربط الحذاء!.. هذه أشياء متوقعة..

بعد هذا توارى فاروق الشرنوبلي تماماً.. ثم ظهر في وسائل الإعلام يتكلم عن فوازير شريهان وأغنيته الجديدة لوردة.. الخ.. صار نجماً لكنني أعترف أنني كنت أحب الأول أكثر. أين ذهبت تلك الأغاني الساحرة؟.. بالطبع كان من الصعب أن يحييها في العهد البائد، لكن لماذا لا يعاود إحياءها في العهد الجديد؟.. ماذا عن فيلم عن الثورة تصاحبه هذه الأغاني؟.. فيلم قريب من (مرتبط بالمجد - 1976) الذي تكلمت عنه...

لو قرأ هذه الكلمات واحد ممن يعرفون شيئاً عن هذه الأغاني فأنا أرجوه أن يرد علي.. هذه الأبحان من الحرام أن تموت.

أنا الصلوب على بابك يايد الكل

يا عشقي يا اللي أعتابك طواها الذل

أضم الشمس وترابك وأموت ف الضل..

أموت إزاي وأنا الشاهد على بكره؟

أنا الفكرة..

أنا الفاس اللي بق وشق بطن الغيظ.

أنا في الصنع الكنة وبرضه الزيت

أنا الرقة ف بحر النيل

وياشرب ميني عكرة

أنا البدر اللي ف الواويل

وتسمني وأنا ذكرى؟

خسارة يا مصر

يا اللي القصر يسبيكي ويقتلني

خسارة يا مصر

أنا اللي عشق نور الشمس ف عشقي مبهلني!

أما اللحن الذي بدأ الحفل وأنهاه به فكان:



## شفرة التواريخ

عندما تقرأ هذا المقال في بداية شهر مارس - لو أحيانا الله - فلا يمكنني بالضبط معرفة ظروف البلد وقتها. حفظ الله مصر وأخرجها من هذا المنعطف الضيق الذي تمشي فيه اليوم. أنكر أنني كتبت يوم 18 يناير في أحد مواقع الإنترنت عن فيلم أمريكي، ونشر المقال يوم 28 يناير بينما السيران في كل مكان، حتى أن أحد القراء أصيب بنهول لأنني راثق الزواج إلى هذا الحد! وينفس الطريقة أجريت لقاء تلفزيونياً مع اللامع بلال فضل، وكانت النتيجة

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم إلينا لتحصل على كل ما هو جديد



أن اللقاء أُنِيعَ يوم 31 يناير.. هكذا فوجئ الناس برجل متخلف عقلياً يتكلم عن تجربته في كتابة أدب الرعب، بينما نار الثورة تتعالى وسط القاهرة..

لا أصرف كيف ستكون الظروف عندما تقرأ أنت هذا المقال، فسامحني قليلاً وتذكر أنني أكتب هذه الكلمات قبل قراءتك لها بمشرين يوماً! لكنني على الأقل أصرف الآن أننا سنكون قد تخلصنا من سيناريو التمديد والتوريث ولجنة السياسات والحزب الوطني، ولربما تكون ملفات الفساد قد فتحت وعرّفنا الكثير.

كان لي صديق اعتاد أن يتنبأ بسيناريوهات الغد الكابوسية، فكان يقول لي: "عندئذٍ ستجد الدبابات في ميدان الساعة..!"

باعتبار هذا أسوأ ما يمكن أن تصل له الأمور. ميدان الساعة هو أهم ميدان في طنطا بالمناسبة، واليوم هناك عدة دبابات تقف فيه.. أي أن أسوأ كوابيسه تحققت.. لكننا نحمد الله أنها ليست دبابات معادية، بل هي دباباتنا.. جاءت لحمايتنا، وكما ثبت مؤخراً لحماية مصر كلها..

انتهى شهر فبراير.. وقد كنت أحمل لفيبرابر كراهية خاصة.. لا.. ليس لنفس أسباب الأطباء المعروفة إذ يقل عملهم فيه جداً ويطلقون عليه (فقرابر)، ولكن لأنه الشهر الذي توفيت فيه أمي في السبعينيات وتوفي أبي في التسعينيات.. ويبدو أنني أنوي الموت فيه كذلك لأنه يحمل دائماً وعكة صحية

لي، والطريف أنها وعكة صحية متجددة في كل مرة.. أي أن المرض ناتى لا يتكرر مرتين!

اليوم جاء فبراير بذكرى باسمه لأول مرة، عندما لم تنم مصر ورقص شبابها في الشوارع.. انتصر فريقنا القومي من الشباب على الطغيان.. مباراة طويلة استغرقت 18 يوماً وكلفتنا الكثير من الدماء والشباب اليانغ وساعات الخوف والخسائر الاقتصادية، وحتى معقل الحضارة ناتى في المتحف المصري جرح وخسر بعض القطع، لكن الثمن كان يستحق.. استعادة حريتك التي استلبت ثلاثين عاماً تستحق..

من الغريب أن الشعب المصري استرد حريته في ذات اليوم الذي استرد فيه الشعب الإيراني حريته من طغيان الشاه عام 1979.. نفس اليوم 11 فبراير وإن فصل 32 عاماً بين الثورتين.. مصادفة غريبة.. أليس كذلك؟.. لم يفر مبارك.. لكن الشاه فر إلى مصر وكان مصاباً بالسرطان اللمفاوي الذي تفاقم، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة في مستشفى المعادي..

من ضمن المصادفات الغريبة كذلك وفاة الفريق سعد الدين الشاذلي في نفس يوم نجاح الثورة. أي أن أحد قادة حرب أكتوبر كان يرحل وسط جحافل الشعب الغاضبة بعد ما دمر نكراه تماماً، فلن يذكر عنه العالم سوى أنه الرجل الذي كاد يحرق بلده وشعبه كي يبقى بضعة أيام أخرى يرتب فيها أمواله، في

الوقت ذاته كان قائد آخر من قادة حرب أكتوبر يرحل إلى الفرنوس بيانن الله  
تصعبه دموع حارة وزغاريد أطلقها الشعب لأنه اعتبره شهيداً بيانن الله..  
الشعب الذي لم ينس ولن ينسى للشاذلي أنه صاحب خطة العبور، وأنه ظلّم في  
حياته بقسوة، وهو القائد الوحيد الذي لم يكرم بين رجال أكتوبر بسبب  
خلافه مع أنور السادات.

لعبة التواريخ الغريبة تعلن من نفسها....

لا أعرف إن كنت الوحيد الذي لاحظ هذا أم لا، لكن شهر فبراير  
يحمل كذلك ذكرى قاسية لحادثين مروعين يصعب نسيانهما. والغريب أنه  
بينما الشارع ملتهب وميدان التحرير يعج بمئات الألوف، تعود هذه الذكرى  
كانها تبتم في قسوة.. هل هو القصاص؟.. لا أصرف.. لكنه جاء بطريقة  
شعرية شكسبيرية غريبة فعلاً.

في 2 فبراير عام 2006 غرقت العبارة: عبارة السلام 98 التي  
كانت متجهة من ضيا إلى سافاجا. فرحة العودة للأهل والوطن بعد أعوام من  
الغربة.. البعض كان عائداً من الحج..

العبارة كانت شركة السلام قد اشترتها من إيطاليا عام 1998، وقد  
تم تدشينها عام 1970 وقضت معظم شبابها في المياه الإيطالية..

كان سبب غرق العبارة هو حريق نشب في المحركات وانتشر بسرعة..

وكانت في هذا الوقت قريبة من مدينة الغردقة. حاول البحارة إطفاء الحريق عن  
طريق نزع الماء من البحر بالمضخات.. ولكن المضخات التي كانت تطرد الماء  
للبحر ثانية لم تكن تعمل.. النتيجة هي أن الماء تزايد داخل العبارة وانقلبت..  
كان غرق العبارة عرضاً مذهلاً للإهمال والتفنيق، خاصة أن أوراق  
الفحص وشروط السلامة مكتملة، لكن هذا كان مجرد حبر على ورق.

تلقت غرفة عمليات الإنقاذ في أسكتلندا استغاثة العبارة، وأبلغت مصر  
بها، لكن الشركة المالكة لم تخطر السلطات قبل مرور ست ساعات ثمينة..

لا بد أن الشهد كان شنيعاً جديراً برواية (سورد جيم) أو فيلم  
(القائمانيك) والناس تتمنى وصول النجاة، وتأرجح بين الأمل واليأس.. ونحن  
نعرف أن للشهد للأسوي انتهى بغرق 1200 واحد انتشلتهم فرقاطات  
مصرية مع سفينة حربية بريطانية وطائرة استطلاع أمريكية.

كشفت التحقيقات عن حقائق مرعبة يعرفها كل المصريين.. القبطان فر  
في قارب وحده وبعض معاونيه وترك الركاب لمصيرهم. وقد تم التحقيق في  
القضية لمدة عامين وانتهى بالحكم الذي وجده أقارب الضحايا تافهاً لدرجة لا  
تصدق..

بينما كان الحكم يصدر كان مالك العبارة (ممدوح إسماعيل) وولده قد



غاصرا مصر عبر صالة كبار الزوار، وفرا إلى لندن. ولعل هذا من أهم مسامير  
نعش النظام السابق لأن الناس لم تستطع أن تنسى.. لماذا لم يتم منع (مسدوح  
إسماعيل) من الهرب؟. وشاعت في المجتمع المصري مقولة إنك إذا قتلت واحدا  
تعدم، أما إذا قتلت ألفا فأنت تغادر مصر من صالة كبار الزوار لتعيش عيشة  
الملوك في لندن..

على كل حال صدر حكم المحكمة بتبرئة إسماعيل وولده وآخرين.  
وجدير بالذكر أن عبارة أخرى لهم هي (فخر السلام 95) غرقت قبل هذا  
بعام في حادث تصادم، وتوفي شخصان وجرح أربعون شخصا.  
(مسدوح إسماعيل) قد حفر اسمه بقوة على النصب التذكاري لأعضاء  
الشعب المصري، وصار من ضمن أسماء كثيرة يكرها رجل الشارع فعلا.  
هل شاعت الأقوال أن يتم الانتقام لأرواح هؤلاء الضحايا في نفس الشهر  
بعد خمسة أعوام من وفاتهم؟.. لا أستطيع أن أقول هذا..

في 20 فبراير عام 2002 احترق قطار الصعيد :  
هذه قصة قاسية أخرى جعلت الكل يؤمن أن هذه الحكومة منحوسة،  
لكن هذه القصة تختلف نوعاً عن الموت في البحر غرقاً أو طعماً لأسماك القرش..  
هنا الميثة أكثر شناعة. ببساطة أنت مسجون في عربة قطار مندفع والنهران

تشتعل في كل شيء، فلا تجد سيلاً للفرار من الباب.. تتجه للنافذة وتتمسك  
بها لكنها مدعمة بالقضبان.. هكذا ليس أمامك سوى انتظار النيران. أعتقد أن  
الله كان رحيماً فمات أكثر هؤلاء بالضمة العصبية قبل أن تمسهم النار.

بدأت القصة في ذلك اليوم الأسود عندما كان ذلك القطار متجهاً من  
القاهرة إلى أسوان. الساعات الأولى من يوم 20 فبراير والكل نائم منكم، يحلم  
بتضاء عيد الأضحى مع أسرته.. القطار غادر مدينة العياط.

هنا يبدو أن أحد الركاب بالعربة الأخيرة أراد أن يعد بعض الشاي..  
اشتعلت النيران ولم يستطع الفرار منها، ثم تمسكت الألسنة بالمقاعد وبدأت  
تنتقل بسرعة البرق.. بالطبع ساعدت الرياح في هذا..

النوافذ التي بلا قضبان هشمتها الركاب الصارخون ووثبوا من القطار  
السرع.. هلك عدد كبير منهم..

تأخر الوقت حتى لاحظ السائق ما حدث فقام بفك العربات الأولى من  
القطار، ثم طلب النجدة وانطلق بالنصف الأمامي من القطار خشية حدوث شيء  
آخر.. بالطبع لم تكن هناك طفايات حريق أو أية وسيلة لمكافحة النيران.. دعك  
من الزحام وسهولة اشتعال المقاعد..

خلال نصف ساعة انتقل فريق طبي لمكان الحادث ومعه 90 عربة

إسعاف و60 عربية إطفاء.. أو هذا ما قاله د. عاطف عبيد رئيس الوزراء وقتها..

التقديرات الرسمية قالت إن الضحايا 350 لكن بعض العاملين ببواطن الأمور - أو يتظاهرون بذلك - يقولون إن الرقم أكبر بكثير.. ربما يجب أن تضيف صغراً!.. ولربما كانت هذه مبالغة..

على كل حال لا شك أنها كارثة يصعب وصفها. استقال أحمد الدميري وزير النقل، بينما حاكمت المحكمة 11 شخصاً بتهمة الإهمال الجسيم.. لكن لم تنس المحكمة أن تعلن رأيها الصريح الصادق: هذه الحوادث لن تتوقف، وفي كل مرة يتم التضحية بعمال بسطاء أو رموس صغيرة (لبروحوا في ناهية) كي يظل الكبار في مأمن..

كارتان من ضمن كوارث عديدة عشناها مع ذلك النظام ويبدو أن موعد القصاص قد جاء، برغم أنه لن يعيد تلك الحيوانات الزكية ولن يعوض أما عن ابنها الذي غرق في العبارة أو ابناً من أبيه الذي احترق في القطار. دعك طبعاً من حادث انهيار صخور النويقة الذي... حادث النويقة وقع في سبتمبر لحسن حظك، لذا سأرحم أعصابك قليلاً واكتفي بهذا القدر..

بقي أن نتذكر أن هذا الشهر يضم ميلاد واحد من أشرف وأنكى من

أنجبتهم مصر: د. جمال حمدان الذي ولد يوم 4 فبراير وغير نظرتنا لوطننا للأبد، ثم لقي حقه وحيداً وهو يطهو لنفسه بعض الفول على موقد بعد ما عومل كما يعامل كل علماء أمتنا، ويحصل هذا الشهر كذلك تاريخ اغتيال زعيمين إسلاميين فاتحي التأثير؛ هما حسن البنا في مصر وبالطبع لا نحتاج لأي شرح لن هو، ومالكولم إكس في أمريكا. يحمل كذلك ذكرى منبحة الحرم الإبراهيمي الروعة. لا أعرف كيف أربط بين هذه الأحداث، لكن هناك رسالة ما لا أستطيع استيعابها. ربما تستوعبها عقول أكبر مني بكثير.





ولا تنسوا عم حجازي..

ما زال الوقت مبكراً للحكم على مدى نجاح فيلم الفاجومي. هناك مشكلتان: أن يكون الفيلم جيداً، وأن يستقبله الناس جيداً لو كان جيداً. أنا لم أر الفيلم بعد وأتلف لمعرفة ما تم صنعه. غرابة وأهمية هذا الفيلم تنبعان من أنه الفيلم المصري الوحيد على قعر علمي الذي يؤسس على شخصية ما زالت

**عصير الكتب**

[Facebook.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)

**هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب**

**انضم إلينا لتحصلي على كل ما هو جديد**

بيننا (أعطاه الله طول العمر والصحة)، وهو شرف لم ينله رؤساء مصر المتعاقبون ولم ينله أي نجم، وبالتأكيد يعتبر هذا سلوكاً محموداً إذا كان يسمح الشخصية ما تستحقه في حياتها بدلاً من الطريقة الجائزة المعروفة: "خسارة.. لقد كان فلان بيننا ولم يأخذ حقه".

عندما سمعت عن الفيلم، تنكرت على الفور فنان الكاريكاتور الرائع حجازي، والسبب طبعاً هو النور الذي يعترف أحمد فؤاد نجم بأنه لعبه في حياته. كان معه طيلة الوقت في فترة من الفترات، ويقول نجم إنه كان (ينكشه) كثيراً.. مثلاً سأله عما إذا كان قد قرأ بيرم التونسي، فرد نجم بطريقة الفاجومي: (ما عجيبنيش). هنا قال حجازي: (انت ابن... كداب). وأعطاه ديواناً لبيرم قرأه نجم فعلاً. عندها أترك أي شاعر مرعب هو بيرم. لقد تعلم نجم - بشهادته - كثيراً جداً من حجازي، لكن بتلك الطريقة الساحرة.. فهو لم يشعر قط أن حجازي يعلمه أو يتعالي عليه بالعلومة، وأعتقد أن طبيعة نجم الجامعة تجعله ينفر على الفور من كل من يلعب معه دور المعلم..

هكذا يعترف نجم بوضوح بأن حجازي لعب معه نور المعلم الروحي أو ال mentor الذي قال كامبل إنه محوري في تكوين شخصية البطل اللحمي.

لعب حجازي نوراً عظيم الأهمية لدى جيل بكامله، ومن المؤسف أنه توقف تماماً واعتزل الناس. والأسوأ أنه يقيم على بعد أمتار مني لأنه موجود

في طنطا، لكنني عجزت تماماً عن معرفة عنوانه ولو عرفته لما رحب بي، وقد خذلني كل أصدقائه الذين وعظوني بأن يأخونني معهم لزيارته. قيل إن اعتزال الكون هنا بسبب الإحباط أو اليأس من التغيير، وقيل إن خجل الضان الطيبيسي تغلب عليه. حجازي خجول جداً بشهادة الجميع وينفر من التجمعات. لقد كان يقيم في المنيل فترك الشقة ولم يأخذ مليفاً مقابل ذلك، وعاد إلى طنطا ليعيش وسط شلة أصدقاء ضيقة جداً، وليشعر بأنه قريب من الريف والبسطاء الذين لا يشعر بالراحة إلا معهم.

تقول موسوعة الويكيبيديا عنه إنه واحد بين 11 أخصاً، وإن بيته يوجد على جانب شريط السكة الحديد في كفر العجيزي بطنطا، وأنه عمل في مجلة صباح الخير!.. هكذا فقط!.. كأن موهبة حجازي العظيمة هي أنه ولد في كفر العجيزي! أحياناً تكون هذه التقارير مضحكة جداً، نكرتني بتقرير المخابرات المصرية الذي أورده هيكل، إذ يتكلم عن قائد العمليات الإسرائيلية في فلسطين عام 1948 فيقول التقرير: (هو فلاح ضخم الجثة)! يقول هيكل إن ذلك القائد مفكر سياسي مهم وكانت له وقتها كتب تملأ الأسواق في أوروبا، فمن الغريب نوعاً ألا يقول عنه تقرير المخابرات سوى إنه فلاح ضخم الجثة!..

نشأت لأرى رسوم حجازي المميزة في مكانين: مجلة صباح الخير ومجلة سمير.



لم يظهر حجازي في منافسة سهلة، فقد كان عصره يعج بأسماء مثل الليثي وبهجت وصلاح جاهين.. لكنه استمر وحفر لنفسه مكاناً واضحاً عميقاً.

كان له أسلوب معين فريد من نوعه.. أعتقد أنه الرسام الأكثر مصرية في تاريخ الكاريكاتور، ومن المستحيل أن تجد له شبيهاً بين الرسامين العالميين. تشربت أنماط رسومه.. الثري الأصلع اللص الذي يلبس نظارة وبذلة سوداء وسعيد بنفسه، والعامل الفقير بفانلته الداخلية الممزقة والسهجارة في يده وزوجته الحامل حلوة الملامح التي ما زالت ترضع طفلها وتربط رأسها بمنديل بلووية. الفتاة المصرية الحاملة التي رسمها كما لم يرسمها فنان آخر.. أعتقد أن سعاد حسني قد أثرت بشدة في ملامح الأنثى التي يرسمها.. صفاتها وأهدابها الطويلة السوداء ونظرتها الجانبيهة... تنظر لمن؟.. للشباب المصري الوسيم كما يرسمه حجازي بقامته الفارعة وعضلاته وشاربه.. ثم الطفلة الصغيرة الدقيقة الحافية، التي قد تكون شغالة صغيرة، والتي تراها في كل ركن بالحارة، وتحمل صاجات الكعك في العيد. العبقرية كل لا يتجزأ، لهذا سوف تشعر أنك رأيت بعض هذه الوجوه في أوبريت الليلة الكبيرة مع عرائس السما. ألم تكن هي نفس الطفلة الصغيرة التي ضاعت في الزحام يا ولدها؟.. بنت تابهية طول كده.. رجلها الشمال فيها خلخال زي ده.. كأن الفتاة هربت من أمها لتعمل مع عم حجازي..

هناك مفاتيح بصرية خاصة بحجازي. المدفع له شكل معين وعلى

طريقة المصريين القدماء يظهر المدفع والمدس في وضع بروفيل بينما ترى الفوهة كاملة الاستدارة كأنها في وضع (فاس). الأدب وأوراق الدجاج والسمك في الأطباق.. كلها رموز بصرية ألفها القارئ. حتى أوراق العملة لها طريقة بصرية مألوفة. وعندما يريد أن يوحي لك بالإفراط في الزخرفة فإنه يصنع ذلك بخطوط مرهقة فعلاً. هو في كل هذا لا يقلد أي رسام عالمي، وأعتقد أن فناننا الجميل عمرو سليم جاء من نفس القلع الذي جاء منه حجازي.

الكل في عوالم حجازي لهم مظهر لذيذ، حتى الأشرار أنفسهم لا تملك إلا الابتسام عندما تراهم. لكن انحيازه للفقراء واضح جداً. هناك كاريكاتور شهير له يظهر عربة كارو بها بعض الفلاحين يرتصون ويطلبون في مرح زائد، بينما تمر جوارهم سيارة فاخرة يجلس بها مجموعة من الأثرياء مكفهرين الوجوه، وفتاة قبيحة تنظر من النافذة مشيرة للفقراء قائلة: بابا. الناس دي شكلها مبسطة أكثر منا ليه؟

كل رسم لحجازي يحمل فكرة تبقى معك.. فهو بالتأكيد لا ينتمي بتاتاً لمدرسة الكاريكاتور المسطح الذي يتكلم عن الحموات والزوجة الشرسة والشاكل اليومية التافهة. لكن رسومه كذلك ممتعة ومبهجة جداً.. طلاوة لا شك فيها خاصة عندما يكون مزاجه رائقاً ويستعمل الألوان.

مصري بغضاعة.. مصري حتى النخاع، خاصة عندما ترى الموظف



الجالس بالبيجامة الكستور المقلمة يدخن أمام التلفزيون، وزوجته تصب الشاي في أكواب رخيصة، وعينها على ابتهاج المراهقة الواقفة في الشرفة تتلقى نظرات صامتة هائمة من ابن الجيران. لو أردنا فنائاً واحداً نعرضه على الغربيين ليعبر عن الكاريكاتور المصري فإنا أرشح حجازي أولاً، وإن كنت أعتقد أن المشاهد الغربي لن يتذوقه جيداً.. إن تذوق حجازي بشكل كامل يحتاج إلى أن تكون قد شممت رائحة طشة اللوخية، وعانيت أعاصير النار في معدتك بسبب الفول والطعمية، وتعرف ما هو اللغات وما هي زفة الظاهر، ومناق النرة المشوية دون نزع قشرتها.

لم ير أحد حجازي وهو يرسم، ولم يعرف أحد طقوس الرسم عنده، لأنه كان يذهب مبكراً جداً لمجلة صباح الخير وينهي كل شيء قبل أن يأتي أحد. وهي سمة عامة لدى هؤلاء الوهوبين.. لم ير أحد بيرم التونسي وهو يقرض الشعر، أو صلاح جاهين وهو يرسم، أو أحمد رجب وهو يكتب.. لم يكن حجازي ممن يظهرون في البرامج التلفزيونية ليرسموا..

كان حجازي يقدم في مجلة سمير قصص (تنابلة الصبيان)، وهي قصص ما زالت تثير دهشتي.. هناك قبر غير عادي من التنيذ بما سيحدث في مصر. كتبت منذ أعوام عن هذه القصص قائلًا: "الكبار كعادتهم ينظرون لما يطالعه أطفالهم على أنه (شغل عيال).. من هذه الثغرة تسلل حجازي وألف ورسم

أجرأ قصص يمكن تصورها.. لا بد أن رجل المخابرات كان يقضي يومه في تعذيب الاخوان والشيوعيين، ويتقرب بالميكروسكوب في كل مطبوعة وجريدة، ثم يشتري مجلة سمير في طريق العودة ليقرأها أطفاله.. غير عالم أنها تحوي قصص (تنابلة الصبيان) لحجازي..

"لقد كان الانفتاح في علم الغيب.. ولم تكن هوجة الأطعمة الفاسدة ولا الغش الصناعي قد بدأت، وما أنكره - على قدر علمي - أن الشرطة كانت في خدمة الشعب وقتها قبل أن يصير الشعب في خدمة الشرطة.. لكن عمنا حجازي يقدم لنا ثلاثة أطفال كسولين شديدي البدانة والخبث هم تنابلة الصبيان.. هؤلاء الأطفال القادمون من بلاد السلطان يلعبون بالاقتصاد المصري لعباً.. لقد استعملوا لعب البولوييف المصنع في الغرب وغيروا الورقة اللاصقة عليه ليبيعه على أنه منتج مصري مائة في المائة!.. وزارة الصناعة تهلّل والإعلام يصفق والمنيعات البلهائوات يجرين معهن اللقاءات.. لقد صاروا من أقطاب الصناعة في مصر وهم نصابون لا أكثر.. الأدهى أنهم يتفقون مع نشال مشهور هو (علي عليه) ليسرح رجاله لسرقة رواتب موظفي شركتهم أول الشهر!.. وهكذا يدور المال بورتته ويتمكنون من دفع الرواتب أول كل شهر.. يقرر الموظفون ركوب سيارات أجرة لتفادي النشل، هنا تقبدي سخرية حجازي عندما نكتشف أن قوانين الشركة تحتم على الموظفين العودة بالأوتوبيس!..



واحد فقط يكتشف المهزلة هو سمير نفسه.. يحاول فضح التناقض ويوزع المنشورات ضدهم فيعتقل، وتحاكمه محكمة أمن الدولة ويلقى به في السجن.. وفي النهاية يفر التناقض بما سرقوه إلى الخارج!.. (هذه النهاية اضطرت دار الهلال لتغييرها في الألبوم الذي أصدرته للقصة في عهد السادات)..

"هناك قصة أخرى لتناقض الصييان تحكي كيف تقمص أحدهم دور ضابط والآخر دور وكيل نيابة والآخر دور طبيب، وهبطوا على قرية مصرية بريئة ليتحالفوا مع العمدة والبقال الثري (حسب) وينهبوا مواشي الفلاحين.. مع أغنية تتردد باستمرار هي (الهش كده.. كل ولاد العز كده.. أما ولاد الفلاحين.. سود ومش قد كده!).. لاحظ أننا لا نتكلم عن مسرحية لـ (نعمان عاشور).. بل قصة أطفال مصورة.. يا للرسام العبقرى الخبيث!.. كل هذا قبل الانفتاح بثمانية أعوام!..

"لكن السبب الذي جعل هذه الأعمال تمر تحت أنف الرقابة هو نفس السبب الذي جعلها تتبخر كأنها لم تكن: أنها قصص أطفال.."

كيف تنبأ حجازي بهذا كله؟.. إن حساسيته السياسية مرهفة جداً، وأعتقد أنه تعذب بها كثيراً، فقد كان يرى وسط الضباب بوضوح.

لم يكن جيل الكبار كله واحداً صامتا.. اعتدنا أن نقول هذا تعاطفاً مع الشباب ثم انبهاراً بالثورة، ولكن في هذا بالتأكيد الكثير من الظلم لأمثال

حجازي وغيره من الشرفاء الذين لم يسمتوا لحظة في عهد الظلم، وعندما تكلم د. فاروق الباز عن الأجيال الفاشلة السابقة، فقد ردت عليه الأستاذة سناء البيبي بحزم في مقال جميل وتكرت أمثلة للذين حاولوا..

لم يكن حجازي من التخاضلين بالتأكيد، بل قاتل كثيراً جداً.. أعتقد أن حياته كانت سلسلة من المعارك والحروب بلا توقف. وفي النهاية هو ممن لم يحصلوا على شيء.. إنه زاهد تماماً في أي مال أو منصب أو نفوذ أو شهرة. كل لوحة رسمها حجازي كانت ضربة عنيفة قوية سددها لجدار الطغيان والظلم والغباء الإباري.. ضربة عنيفة كانت تؤذي نراعه هو نفسه. عندما انهار الجدار في 25 يناير فعلياً ألا ننسى الضربات التي ملأته بالشروخ من قبل.

نعم.. لا تنسوا عم حجازي في هذه اللحظات، وأترككم مع لوحة جميلة لا أستطيع نسيانها: عندما تحررت سيناء رسم حجازي مسئولاً منتفخ البطن والأوباج ونظارته سوانه ويدخن السيجار يدخل إلى سيناء، وأمامه يغني مطرب منافق من إياهم على العود: "حنزرك مواويل خضرا.. ونزرعك غناوي". نرى فلاحاً مصرية أصيلاً وزوجته بحملان الفأس والفلق، والفلاح يقول: "بعد إننكم سيونا احنا نزرعها بطريقتنا وما تتعبوش نفسكم!". كاريكاتور يلخص كل شيء.. ليتنا مرة واحدة نفعل بدلاً من أن نغني..

مارا - صاد

عندما كنت  
في الكلية كانت هذه  
السرحية رائجة  
جنًا ومفضلة لدى كل  
أنديسة المسرح  
الطلابية، والحقيقة  
أن الأخ بيتر فايس  
له شعبية خاصة عند  
الطلبة بهذا النوع من  
المسرح التسجيلي  
الذي يقدمه، وهو



شبيه نوعًا بمسرح بريخت.. هناك إصرار شديد على التفرغ. بعبارة أخرى:  
جعل المشاهد لا يندمج مع المسرحية بأي ثمن.. لابد من أن يعرف المشاهد يقينًا

لمزيد من الكتب المصرية ..

جروب عصير الكتب

[FB.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)



أنه يشاهد مسرحية.. لابد أن يعرف أن هذا البكاء غير حقيقي وهذه الضحكات غير حقيقية.. ربما وضع الممثلون الماكياج أمامه أو خرج مهندس الديكور ليضع قطعة أثاث مكان أخرى.. الغرض هو أن تفكر ولا تنفعل. أما عن موضوع المسرح التسجيلي هذا فهو موضة غريبة نوعاً، حيث كان الممثلون في (غول لوزيتانيا) يقرءون تقارير كاملة للأمم المتحدة وصفحات كاملة من الجرائد.

الاسم الحقيقي للمسرحية هو (اضطهاد واختيال جان بول مارا كما قدمته فرقة تمثيل مصحة شارنتون تحت إشراف السيد دي صاد)، وهو بالطبع عنوان مرعب، لهذا يفضل الجميع تسميتها مارا- صاد. لو كنت قد شاهدت فيلم (ريش الكتابة Quills) فأنت تعرف هذا الجو برغم اختلاف القصة تماماً. الموضوع هو أن الماركيز دي ساد الأرسقراطي فيلسوف الألم، والذي قضى حياته يبشر بأن أروع شيء في العالم هو أن تضرب حبيبك وتدميها وتجلدها وتلعنها بالنار. هذا الذي ساد كان قد اتهم بالجنون وسجنوه في مصحة شارنتون، حيث لم يكف عن الكتابة...

البطل الثاني هو جان بول مارا الذي كان بطل الثورة الفرنسية قبل أن تلتهم الثورة نفسها ويبدد الخلافة بين روسبير ومارا وداقتون... كان مارا في تلك الأعوام يجلس دائماً في حوض الاستحمام الشهير المليء بالكبريت بسبب مرض جلدي لعين أصابه، وهذا المرض كان يجعله يهرش دائماً.. مشهد غريب

طبعاً أن ترى قائد الثورة الفرنسية جالساً يملي قراراته ويوقع أوراقه وهو عار في بانيو. وفي هذا الوقت بالضبط كانت هناك فتاة مجنونة اسمها شارلوت كوردي، اعتقدت أنها جان دارك وأن الله يأمرها بقتل مارا.. هكذا اشترت سكيناً ممتازة محترمة جداً واتجهت إلى حيث كان مارا يجلس في البانيو فقتلته ليتلوث ماء الحمام بالدم.. هنا المشهد موضوع لوحة شهيرة جداً لديفيد موجونة في بروكسل اليوم، وأرجو أن تسمح التعميمات التقنية بعرضها مع هذا المقال.

المهم أن عمنا بيتر فايس التقط هذا الخيط الثري وكتب مسرحيته التي خلبت لب الطلاب على مدى عدة عقود، هي ومسرحيته الأخرى (أنشودة غول لوزيتانيا). طبعاً عندما عرضت المسرحية في الكليات كانت غالباً تحمّل أخطاء مسارح قصور الثقافة والأقاليم عامة.. بصرف النظر عن الديكور البائس المصنوع من الورق المقوى وصفوف للخبرين وجنود الأمن المركزي الجالسين في الصفوف الأولى، أولاً هي تجذب الكثير من الممثلين السراغبيين في الصراخ المصايين بنرجسية مفرطة.. وهم يببالغون في الصياح والحركة ليثبتوا عبقريتهم التمثيلية. نفس أساليب الميزانسين حيث يركض اثنان من قلب الديكور المترب صارخين بشيء لا تعرف ما هو ولا تفهم منه حرفاً.. مع داء التحرك نحو الجمهور خطوة مع كل عبارة في تكوينات هندسية يعتقدون أنها تذكرك بالمسرح الإغريقي.. وهناك ممثل يصر على اعتصار التصفيق فيسرخ وهو ينتظر



للسقف مسكاً بعنقه: "باتخفق.. باتخفق".. ثم يسقط فيجد الجمهور أنه مجبر على التصفيق. ذلك طبعاً من المخرجين الذين يصرون على وضع رموز لم يضعها المؤلف. مثلاً يهتف الأبطال: "بالروح بالدم نفديك يا مارا". هذا إسقاط مذهل يستد المخرج أنه يمكن أن يشمل ثورة.. ويوشك على أن يقتد وعيه طرباً.. كل هذه العيوب المعروفة شوهدت المسرحية قليلاً لكن النص ما زال في غاية القوة..

الإطار العام لهذا العمل هو مسرحية داخل مسرحية.. تدور الأحداث بالضبط في 13 يوليو 1800. نحن في عصر دكتاتورية نابليون بونابرت.. دي ساد يخرج مسرحية عن الثورة الفرنسية تنتهي باغتيال جان بول مارا. والممثلون هم نزلاء المستشفى.. سوف نلاحظ أن المرضات هن رجال أقوياء مفتولو العضلات يلبسون كالممرضات.. المراد هنا أنهم يمثلن السلطة أو القمع.. قوات الأمن المركزي. دي ساد يراقب الأمور في سخرية مريرة ولا يهتم كثيراً بالسياسة وحقوق الناس.. إنه يشعر أن كل هذا تهريج لا يقارن بالثورة الحقيقية على قيود النفس من أجل المزيد من الشهوات. لاحظ أنه يتكلم بحرية تامة بينما مدير المصحة الأحقق يعتقد أنها مسرحية صحيحة سياسياً تتملق نظام بونابرت القمعي.. نرى المواجهة بين الثائر وبين الفكر الخبول.. ماذا لو صار مارا نفسه بطل مسرحية دموية يخرجها الماركيز دي ساد نفسه؟

إن مارا يمثل شيئاً مهنياً.. يمثل أحلام الثورة التي أحيطت والثورة التي تتمشى، مع شعور الناس بخيبة أمل حقيقية. وفي ذات الوقت بدأ الشوار يمارسون ذات الممارسات التي ثاروا بسببها.. وفي بداية المسرحية نسمع هذه الأغنية المبهوفة:

مارا.. فين راحت ثورتنا ؟ .. مارا.. ليه سكتت غنوتنا ؟

مارا.. مش قادرين نستقى..

ليه فقرا زي ما كنا..

ليه الشعارات هيا حياتنا..

ليه الأحلام هيا قوتنا..

الفهاره.. هات لنا بكرة

مش قادرين نستقى لبكرة..

سبب أن العبارات مسجوعة هو أنني كنت قد شرعت في تحويلها لنص شعري بالعامية أيام الكلية، وهي محاولة لم تكتمل قط.

إن مارا يشعر بالذنب والمسئولية الهائلة تجاه هذه الجموع. لكنه عاجز عن عمل شيء وفي الوقت نفسه هو يعرف يقيناً أنه سيموت لأننا نرى شارلوت كوردي العازمة على قتله من اللحظة الأولى. وهي تقول:

-إنني أقتل فرنسا من أجل إن أنتقد الأثوف.. من أجل أن أحرر الأثوف-



دي صاد يعتبر نفسه ثائراً هو الآخر.. لكنه ثائر من نوع خاص.. ثائر على القيود الأخلاقية التي يضعها المرء لنفسه. وهكذا يتردد بقوة السؤال: هل الثورة الحقيقية هي تغيير المجتمع أم تغيير النفس؟

وفي أغنية جميلة فعلاً يقول دي صاد لمارا إن الناس رفعت توقعاتها عالياً مع الثورة.. هناك الشاعر الذي يبحث عن قصيدة.. وهناك التريزي الذي يحتاج لخيط.. وهناك المياد الذي يريد صنارة وشبكة للصيد.. وهناك الزوجة التي تبحث عن زوج فارغ العنق وسيم. كلهم توقعوا أن الثورة ستجلب لهم صنارة وخيطاً وقصيدة وزوجاً وسيماً.. عندما يكتشفون أن الثورة لم تجلب شيئاً من هذا وأن صناراتهم مكسورة وخيوطهم مقطوعة وقصائدهم مكسورة الوزن، والزوج ما زال في الفراش يغط واللعب يسيل من فمه، يكون غضبهم جهنمياً. وبالطبع سوف ينصب على مارا...

وفي أغنية أخرى يقولون:

عاوز أفهم مين اللي خدمنا؟

مين بيد دعا ودموعنا؟

أنا فلاح وسليم الفية..

كل الناس بول ضحكوا علينا..

قالوا وقالوا مليون مرة

احنا خلاص حققنا الثورة..

الخنازير البرجوازية.. تشرب خمرة في العسقية.. واحنا نطاطي تيوس

الطين!

إن قوى الثورة المضادة التي خسرت الكثير بقيام الثورة قررت أن تعمل على تشويهاها وتدميرها بأي طريقة، وعلى إثارة الفوضى في الشارع.. وفي النهاية انتهى الأمر إلى أن يمسك نابليون بوناپرت زمام الأمور.

في مقطع آخر ترجمة الأستاذ يسري خميس - الذي ترجم المسرحية

عن الألمانية - يقول الدهماء:

من يسيطر على الأسواق؟ من أغلق مخازن الغلال؟ من اعتقلنا بدون

وجه حق؟

نحن أصحاب وتريد الحرية!

كما لو أن الأضياء سوف يتنازلون عن أملاكهم عن طيب خاطر.. وحين

تضطرهم الظروف لأن يتراجعوا مرة أو أخرى فسوف يفعلون ذلك.. لأنهم

يعلمون جيداً أنهم سوف يربحون ثانية..

لا تخدعوا أنفسكم إننا ما كسبتم بعض المال، وتمكنتم من شراء بعض

الأشياء التي يبيعها لكم رجال الصناعة..

وإذا ما تخيلتم أن الرخاء علي الأبواب...  
فإن ذلك كله مجرد وهم ابتكره هؤلاء الذين ما زالوا يمتلكون أكثر  
بكثير مما تملكون..

أيها المواطنون. إن بلدنا في خطر..  
الشعب لا يمكنه أن يدفع أسعار الخبز المرتفعة  
حرب أهلية جديدة تشعلها الثورة المضادة

لا شيء حتي الآن استفادة المعدمون من الأراضي الواسعة..  
هل كالفن من أجل حرية أولئك الذين ينهبوننا من جديد؟  
نحن الآن في مرحلة الانحلال والفوضى..

هذا حسن

هذه هي المرحلة الأولى

والآن

يجب أن تنتقل إلي المرحلة التالية.  
طبعاً في نهاية المسرحية تقوم شارلوت كوردي بقتل مارا كما توعدت  
منذ البداية. والمسرحية تعتبره شهيداً ومفكراً اشتراكياً نبيلاً لم تمنحه الناس

فرصة. ويرغم هذا تتعامل معه ببرود شديد وعدم تعاطف على الإطلاق، مما  
يميز المسرح التسجيلي عادة.

تطرح المسرحية عشرات الأفكار المهمة، وأعتقد أنه لا بد أن نتذكرها  
اليوم في هذا الفخني الضيق الذي تعميره الثورة.. لقد أعيد إصدار المسرحية  
مؤخراً عن هيئة قصور الثقافة وأقترح أن يقرأها من لم يفعل. ولكن يجب ألا  
ننسى المقطع الأخير:

"نحن الآن في مرحلة الانحلال والفوضى.. هذا حسن. هذه هي  
المرحلة الأولى..والآن.."

يجب أن تنتقل إلي المرحلة التالية."

الثورة الفرنسية لم تنتقل للمرحلة التالية؛ لهذا استولى بونابرت  
على الحكم وكان هناك من حمدوا له ذلك باعتباره الحل الوحيد الذي ينهي  
الفوضى. علينا أن نتعلم من هذا الدرس... المرحلة الثانية هي الأهم..  
الانتخابات وإعادة البناء وألا تترك الفرصة لبونابرت آخر كي يسيطر على  
كل شيء.





## جامع الأحلام

عرفت هنا الرجل منذ أعوام.. قابلته في الدقي..

منذ زمن عرفت أن البشر أنماط معدودة يمكن أن تصنف كل واحد منهم

لمزيد من الكتب المصرية ..

جروب نصير الكتب

[FB.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)

في قائمة.. مثلاً هناك قائمة (الترافولتيات) التي تضم كل شاب رياضي طويل  
القامة مهذب خجول قليلاً، له ضحكة لطيفة تبدأ من العينين، وهذه القائمة  
تضم بالتأكيد جون ترافولتا والخطيب وإيمان البحر درويش وصديقي أستاذ طب  
العيون..

هناك مثلاً قائمة الدريات، وهي تضم ندية شرف الدين وسحر رامي  
وآلي ماكجرو.. هناك قائمة الشارونيات وتضم كل حلوف بري متضخم البطن  
شديد الغظافة، وبالطبع تضم الجنرال شارون مع آخرين لن أذكرهم تفادياً  
لقاضاتي. أنا نفسي أنتمي لذات القائمة التي ينتمي لها محمود محيي الدين  
وزير الاستثمار في العهد السابق، وعندما أرى صورته في جريدة أشعر بحالة  
انعدام وزن للحظة. وكان الأستاذ الرابع أحمد رجب يقول إنهم يستوفونه في  
كل المطارات لأنهم يشبهون به.. عرف فيما بعد أنه يشبه جداً أحد زعماء  
الماфия الأقوياء!

عندما قابلت الأستاذ عارف وجدت أنه لا ينتمي لأي قائمة عرفت..  
لا أذكر أنني عرفت هذا النمط من قبل.. نظارة.. نظرة كئيبة مرهقة.. شعر  
مجعد شاب نصفه.. في الخمسين من عمره.. متزوج لكنك لا تشعر بتأثراً بذلك  
ولا يتكلم عن أسرته أبداً.

كان يحضر نورات في اللغة الروسية في أحد الأركان هناك.. وكان يجيد

قول (ناسفيدانيا) و(سباسيبا) كالعادة، ويتكلم بلا توقف عن تشيكوف  
وماكسيم جوركي..

عند لقائنا الثاني اكتشفت أنه يحضر نورات في اللغة الألمانية في مركز  
آخر.. ألا ترى إنك تبالغ قليلاً يا أستاذ عارف؟  
قال لي في حماس:

3- اللغات مهمة جداً.. تعمق خبراتك بالحياة وتجعلك تفهم العالم

لكنه ظل لغزاً بالنسبة لي.. هل عمله يجعله يقابل الكثير من الأجانب  
مثلاً؟.. هل هو كثير الأسفار؟.. عرفت فيما بعد أنه موظف في المجل المدني  
في درجة إدارية لا تبشر بالكثير.. هناك وظيفة لا مستقبل لها اسمها (المساعد  
الاعتباري) في الأدب الروسي، وهي الوظيفة التي ينتمي لها أي بطل يريد  
المؤلف ألا يكون له وزن ولا أهمية.. لنقل إن الأستاذ عارف هذا كان أقرب إلى  
المساعد الاعتباري..

إن هو لا يؤدي وظيفة تتطلب هذا العلم باللغات..

بعد هنا وجدت أنه يقترض كتباً عن البلدان من المكتبة العامة، ويعد  
دراسات مطولة عن بلدان بعينها مثل السويد وألمانيا.. الخ.. سألته عن سبب  
هذا الحماس، فقال لي إنه يحب أن يعرف كل شيء عن البلد قبل أن يزوره..  
إن الأسفار توسع مداركك وتجعلك تعرف العالم أكثر.. المهم أن تعرف أين



تذهب ومن تقابل ومتى...

كان الأمر يتجاوز الهواية.. هناك كمية معلومات غير عادية لديه بدءاً بأفضل المطاعم التي يمكن شراء الأكل التحلل منها، وطريقة تبادل العملة، وأماكن العثور على أرخص عروض التسوق.. الخ.. الخ...

هذا دليل مفصل لمن يرغب في زيارة البلدة...

كنت أتفحص دليلاً من هذا الطراز في ذهول.. صور ومعلومات وفهارس وأرقام هاتف.. كان يتكلم عن باريس بدقة مروعة، فقال لي صاحبنا:

"العرب لا يهجون السفر.. منذ أيام الرحالة العظام من طراز ابن بطوطة وسواه، صار العرب أكثر ميلاً للاستقرار في مكان واحد. ويمكنك بسهولة أن تترك أنهم تدهوروا منذ فقدوا غريزة السفر.."

قلت له:

"لكنك تجد العرب في كل مكان من العالم اليوم.."

"أنت تتحدث عن العرب الذين يذهبون إلى باريس مثلاً، فلا يرون أي شيء من باريس.. يتسوقون في الشانزليزية طيلة اليوم ثم يهرعون إلى الفندق ليلتقوا بحقائب مشترياتهم، ثم يهرعون من جديد لشراء المزيد.. ثم يخبرهم أحدهم بأن هناك متاجر رخيصة اسمها (الاينلت) فيهرعون إلى هناك. عندما لا

يبقى من الوقت إلا يوم؛ يجرون ليلتقطوا صوراً لهم بسرعة أمام قوس النصر وبرج ايفل ليثبتوا أن ما اختروه كان من هناك.. هؤلاء لم يروا باريس وكان يوسعهم أن يحققوا نفس النتيجة لو زاروا أي مول فاخر في بلادهم...."

قلت له:

"أنت خبير في باريس فعلاً"

قال في ثقة:

"طبعاً.. صحيح أنني لم أرها قط، لكن عندما أذهب هناك ستكون

المهمة سهلة"

كان يزداد خبرة وعمقاً.. كما أنه كان يقابل العائدين ويصفي لهم

باهتمام. وكم من مرة قال لي:

"أنت لا تعيش حقاً.. كل من لا يسافر ولا يرى العالم هو جثة تتحرك

لا أكثر.."

الحقيقة أنني كنت أمقت السفر.. يبدو أن جدي كان من تلك الأشجار التي تولد وتشبخ وتموت في ذات المكان. عندما انتوي السفر لكان ما أصير عصبياً جداً ولا أنام جيداً وأتشاجر بسهولة كأنني ذاهب إلى العالم الآخر لا إلى بلد آخر.. يتساوى الأمر سواء كنت ذاهباً إلى السنطة أو تفهنا العزب أو

النرويج.. فإذا جاءت ليلة السفر خيل لك إنها ليلة إعدامي، مع كل هذه العصبية وضيق الخلق..

يبدو أن أبي يرحمه الله هو الذي أعطاني هذا الطبع.. كان يقول لي إن كل الأماكن تستوي فيما بينها، وإنه يمكن أن أقوم بتغيير لافتة (طنطا) بلافتة أخرى تقول (كوبنهاجن) لأكون هناك بلا مجهود.. طبعاً ليس هذا الكلام صحيحاً لكنني كنت أعتقد أنه إلى حد ما..

الأستاذ عارف كان يختلف بخبراته المذهلة في البلدان..

كان يعرف كيف يصل لمتحف مدام توسو في لندن، وبالطبع يعرف كيف يزور المتحف البريطاني... هو لا يحب حي سوهو بشكل خاص لنفس الأسباب التي يمتقت من أجلها شارع بيجال في باريس وياتايا في تايلاند... هو لا يحب بانعات الهوى.. كان قادراً على زيارة مسجد آيا صوفيا في اسطنبول ويعرفه شيراً شبراً.. مساجد تركيا رائعة الجمال فعلاً:

- لا تنس أن لسات المصريين الفنية هي التي صنعت هذا كله.. لقد سرقوا الصناعات الماهرة معهم إلى الأستانة.. -

أعتقد أنه قضى وقتاً طويلاً على ضفاف البحر الأسود، وجرب كثيراً صيد سمك الحفش... فتح السمكة ورأى كيف يتراص الكاليفار بالداخل.. لكنه

بالطبع لا يتذوقه.. إن طعمه شديد (الزفارة) ولا بد أن يعالج صناعياً أولاً قبل أن يؤكل.. سمك الحفش يصنع دخل إيران وروسيا..

كان يسعل كثيراً في الأسبوع الماضي بسبب استنشاق فضلات الخفافيش في كهوف أمريكا الجنوبية.. عندما تدخل الكهف دون حذر فإنك تستنشق فطر (هستوبلازما) الذي يدمر الرئتين تدميراً..

عرضت عليه أن أعطيته بعض حقن أمفوتريسين لعلاج داء الهستوبلازما، ثم تذكرت أن هذا كله خيال في خيال..

إن شمس منتصف الليل مرهقة للعينين فعلاً، لذا تؤله عينيه مؤخراً.. الأسوأ هو أن تمشي لساعات وسط الثلوج في ألاسكا لأنك تصاب بعمى الثلوج.. عندما سكنت في شقتي الجديدة قبل أن أقوم بتأثيثها، كانت كل الجدران بيضاء.. أصابني نوع من العته من السير وسط هذا الفراغ الأبيض وشعرت بأن الضباب يغزو كل شيء ويتسرب لعقلي..

هناك مشكلة أخرى هي أن تدبر الطعام لكلاب الهسكي الجوعى التي تجر زحافتك على الثلج.. أنت تعرف أن هذه الكلاب تأكل نفس الكميات التي يأكلها شخص بالغ..

عندما تذهب إلى نيوزيلاند فعليك أن تعرف عادات قبائل الماوري.. اللحم المشوي تحت التراب.. الهاكا التي يرقصونها قبل مباريات الرجبي.



مخيفة جداً على فكرة..

من المتع أن تجرب رحلات الخلاء وأنت في الجزيرة العربية..  
البحث عن الكمأة ثم العثور على الضب وشبهه.. سوف تعتاد منظره ومذاقه بعد  
قليل.. إن لحمه لذيق فعلاً...

جاءت اللحظة التي سألته فيها عن البلاد التي رآها.. لا بد أنه زار بلدًا  
أو اثنتين... على الأقل كل مصري أعرفه رأى العراق أو ليبيا أو دول الخليج،  
سواء بحكم العمل أو للقيام بالحج أو العمرة في المملكة العربية السعودية..

هنا جاءت آخر إجابة أتوقعها:

-أنا لم أغانر مصر قط!... لم أغانر القاهرة قط! كل هذه المعلومات  
أعرفها من الكتب"

قلت له وقد نفذ صبري في النهاية:

-أرى أنك أعددت نفسك كثيرًا جدًا.. ألا ترى أن الوقت قد حان  
للسفر لكان ما؟"

نظر لي في عدم فهم فقلت:

-كل المال في العالم لا قيمة له ما لم تنفقه.. وأنت تملك خبرات عظيمة"

في النهاية قال لي في حزن:

-أنا في الخامسة والخمسين من عمري، ولم يعد هناك وقت كاف  
لرؤية أي شيء أو السفر.. ليس عندي مال كاف للسياحة.. ثم أن الحقيقة التي  
أخفيها عن الجميع هي.. هي..."

وأشاح بوجهه في خجل:

-أنا أخاف ركوب الطائرات جدًا!"

ثم قال وهو يتنهد:

-المطارات مكان مرعب.. تخيل نفسك في مكان واسع ممتد تشعر فيه  
بالضياع.. الكل يجري مذعورًا.. وفي كل لحظة يدوي من مكبر الصوت صوت  
مفعم بالمدى لا تفهم منه حرفًا واحدًا.. رسالة تتكرر بالعربية والإنجليزية  
والفرنسية وأنت لا تفهمها!"

يمكنني أن أفهم ما يعنيه، واسمه (أجورافوبيا).. وهو نوع مشهور من  
الذعر.. لكنني لن أنكر له اسم هذا المرض حتى لا يقع في زعر آخر اسمه (الذعر  
من الأسماء اللاتينية المعقدة)..

هذه هي مأساة الإنسان على كل حال.. قد يقضي حياته في جمع المال ثم  
لا يجد الوقت كي ينفق مليماً، أو ينفق المال على المستشفيات التي تعالجه من



## الطريف في طب الريف

يمر كل طبيب شاب يعمل في الوحدات الصحية الريفية بفطرة من الاضطراب ناجمة عن الصعوبات اللغوية التي سنتكلم عنها حالاً، بالإضافة إلى قلة خبرته، واختراقه حاجز العرف والتقاليد أحياناً من دون أن يعرف...  
مثلاً كانت أول حالة أقبلها في الريف هي طفلة في السادسة، وكان ما

الفشل الكلوي أو السرطان. قد يدخر العواطف وفي ذهنه أن يسكبها عند قدمي امرأة يمنحها كل شيء.. في كل مرة يتضح أن المرأة لا تستحق أو هي المرأة الخطأ أو لا يقابلها أبداً. هنا يقوم صاحبي بجمع الخبرات في حماسة.. وهو لن يستعملها أبداً.. لا وقت ولا شجاعة ليستعملها... أن تجمع المعلومات عن البلدان وأنت لا تنوي ركوب الطائرة أبداً هو نوع من هذا العبث..

هنا لاحظت ملامحه بعناية.. لم يخطر ببالي أنه ينتمي فعلاً لنمط من الأشخاص والوجوه.. هذا النمط هو نمطي أنا.. هذه هي ملامحي أنا.. نمط جامعي الأحلام الذين لا يظفرون بأحلامهم لأنهم يخشون المخاطرة أو يمتقنونها، لهذا يقضون الوقت في كتابة الكتب عن أحلامهم تلك..

اتصلت بصديقي بعد أيام لأخبره أن عليه أن يستجمع شجاعته ويذهب لكان ما قبل أن يموت. عرفت أن كلامي أثر فيه كثيراً لهذا ذهب يجرب الأسفار.. هناك قرية صغيرة اسمها (كفر الشحاتين) جوار القاهرة، وقد ذهب هناك ليجرب خبراته بضعة أيام. صحيح أنه لن يجد برج ايفل ولا قوس نصر ولا شلالات نياجرا، لكنه على الأقل سيشعر بأنه مسافر لكان ما!

من يدري...؟ ربما احزم حقيقتي وألحق به هناك لأسفي أياماً في السياحة.. فلا حياة من دون مخاطرة...



قمت به بسيطاً جداً كما علمونا في طب الأطفال، وهو أنني جعلت الطفلة ترقد  
وقمت بقياس طولها بالتر القماشي الذي أحمله، وكانت النتيجة أن الأم وقفت  
على باب الوحدة وراحت تولول:

- "بيقيسوا بنتي بالمازورة!"

يبدو أنها شعرت بأنني كائن شيطاني جاء من سقر كي يحسد الطفلة،  
وكان هنا أول درس تعلمت منه ألا ألس هذا المتر القماشي اللعين أبداً. الحالة  
الثانية مثلاً أعطيتها بعض أقراص فيتامين (ب).. وكانت النتيجة أنها جاءت  
محمولة وقالوا لي إنها لم تتحمل تلك الأقراص وأصابها الدوخة والدوار  
وسقطت على الأرض (مع نظرات شك تقول في صمت إنني طبيب أحمق).. نحن  
نتحدث عن فيتامين (ب) وليس عقار (فنكروستين) الذي يعالج السرطان. كان  
هذا هو الدرس الثاني، وهو أن الأقراص لا جدوى منها وقاتلة غالباً....

أحياناً تأتيك الترضية بطريقة لا تتوقعها، مثل تلك الطفلة الفقيرة  
الحافية التي قمت بخياطة جرح كبير في جبهتها، والتأم الجرح جيداً... هكذا  
جاءت بعد أسبوع إلى العيادة حاملة كوزاً من الزرة المشوية قائلة لي:

- "اتمض!"

وانصرفت!... تأملت كوز الزرة... تذكرت كلمات برنارد شو عن أن

المرء قد ينال أعلى الأجر لكن من الناس أن يعطيه شخص كل ما يملك.. من  
الواضح أن هذا كل ما تملكه الطفلة ومعنى ذلك أن هذا أعلى أجر نلته في  
حياتي.. التهمت الكوز في نهم وأعتقد أنه ألد كوز ذرة أكلته في حياتي..

الاهتمام بالمقاير بالغ في الريف.. لاحظت أنهم يحبون الأوبية جداً،  
وسوف أشرح هذا بالتفصيل بعد قليل، لكن يصعب أن ننسى موقف صديقي  
الذي جاءته فتاة شابة غير متزوجة تعاني مشكلة.. الدورة الشهرية منتظمة  
وبطنها تتضخم.. بالطبع لم يصعب عليه أن يثبت أنها حامل.. لقد عيشت وكان  
عليها أن تدفع الثمن.. طلبت منه أن يساعدها على الخلاص من هذه الكارثة،  
فرفض طبعاً.. هكذا اتجهت للباب منهارة وقد أظلم الغد في وجهها.. لا تعرف  
كيف تخرج من هنا المأزق.. لا تعرف من أين تبدأ الحياة ثانية...

فجأة استدارت له قائلة:

- "ما تجيب حقتين بنسلين بالرة؟"

هي تمقت أن تكون زيارتها بلا منفعة ما!... ومن الصعب ألا تظفر  
بالإجهاض ولا حقنة بنسلين كذلك!... هذا موقف عجيب لا يجرؤ كاتب على  
أن يضعه في رواية، لكن الواقع أكثر جرأة من الأدب بمراحل..

نعم.. طب الأرياف علم معقد قد يخطر للذئب أنه يشبه الطب العادي

من قريب أو بعيد.. دعني أخبرك أن علاقة طب الأرياف بالطب الذي تسمع عنه تشبه علاقة علبه السردين بحلف الناتو.. هل تجد علاقة ما؟.. إنن أنت عبقري ولن تلقى مشاكل من أي نوع ..

هذه الملاحظات كتبتها لنفسي أساساً عام 1986 عندما كنت طبيب الوحدة الصحية في إحدى قرى محافظة الغربية، واعتقد أنها ما زالت صالحة، كما إنني نشرت بعضها على شبكة الإنترنت من قبل.. لهذا لن أبخل بها على القارئ. وقبل أي محاولة سانحة لإساءة الفهم، أقول إنني فلاح فلا يعتقدن أحد أن هذا المقال يهدف للسخرية لكنه محاولة لكسر الحاجز اللغوي السميك:

علم المصطلحات الطبية *Medical terminology* الريفي:

استقال: إسهال وتعنية

تمشية: إسهال

الخاتم والصفرة: فتحة الشرج

زغولة: ارتباك معوي

مباوعة: قيء

النت (بفتح النون): حركة الصدر العنيفة لدى الزفير

سقف البدن، سقف الحنك: الرحم

الضهر: الدورة الشهرية

حيل / ولاويز: عقد لقاوية

الجهاز / الشريط: لولب منع الحمل

الإنذار: المنظار

البيجم (يكسر الباء وتسكين الجيم): البنج

علم مسببات الأمراض *Pathogenesis* الريفي:

يتلخص في كلمة واحدة لا قبل لها ولا بعد: البرد.. البرد يسبب أي

مرض في العالم وسوف نكتشف يوماً ما أنه السنول عن السرطان (لم أكن أعرف

الإيدز في ذلك الوقت)..

علم الباثولوجيا *Pathology* الريفي:

• مرض الكبد: مرض واحد موحد لا فروع له. ينجم عن بودة

(الهارسا) وعلاجه هو بأقراص خلاصة الكبد.. لكن لورشح الكبد فإن هذا هو



الخطر الحقيقي. الاستسقاء في حد ذاتها ليست خطراً طالما أن الكبد لم يرشح..

• مرض الكلاوي: هو مرض واحد موحد. قاتل غالباً. وعلاجه حجن الجنب والكثير من عصير القصب والعرقسوس.

• مرض الجلب: وهو أي مرض قلب أو أوعية دموية.. قاتل دائماً.. ومن يصب به يستحق رحمة الآخرين وعنايتهم.

• مرض الأعصاب: هنأ يندرج طب العظام والأمراض العصبية والأمراض الروماتزمية والأمراض النفسية. على أنه حين يتحدث الرجل عن الأعصاب بصوت خفيض فهو يتحدث عن قدراته الجنسية عامة.

• مرض السكري ينجم عن الإفراط في أكل السكريات، وآلام المفاصل تنجم عن الإفراط في أكل الملح. عامة يمكن علاج السكري بالإفراط في أكل المخللات.

### علم وظائف الأعضاء physiology الريفي:

• كمية الدم في الجسم محدودة جداً. سحب 3 سنتيمترات من الدم يقتل المرء أو يصيبه بالمعجز طيلة حياته. التبرع بالدم حماقة كبرى.. إذ كيف تقتل رجلاً لتحيي آخر؟

• البول والمية هما طريقتا الإخراج للجسم البشري.. ما يخرج من الدبر اسمه (بول) وما يخرج من القبل اسمه (ميه)..!.. لهذا من الطبيعي أن تسأل المريض عن حالة البول وحالة الميه.. فقط الحبيبي يحسبونهما مترادفين.. وقد تسأل المريض عن بوله فيجيب بأنه طبيعي.. ولا تعرف أنه ينزف دماً من مثانته ببساطة لأنك لم تسأل عن (الميه)..

• الطحال مهمته القتل فقط. عندما يكتشف المرء أن لديه طحالاً فسي نهايته.. من الطبيعي ألا يكون لدى الإنسان طحال..

• فم المعدة ليس عضواً تشريحياً من لحم ودم.. إنه قضيب محمي أو نار مشتعلة أو حجر رحية أو أي شيء دائماً..

• فتحة الشرج (الخاتم) في الأطفال لا فائدة لها إلا أن تحتشد حولها ليلاً الدينان الصغيرة الشبيهة بديدان المش..

### علم الأمراض الإكلينيكية symptomatology الريفي:

• عامة كل طفح في الجلد هو حرارة.. حتى لو كان سرطان جلد.

• عامة كل هرش هو حساسية حتى الجرب نفسه.

• عامة كل ألم روماتزمي هو (نش).

• عامة أي طفل يسعل وترتفع حرارته في أية لحظة تراه فيها في أي مكان.

• عامة أي طفل لا يأكل منذ ثلاثة أشهر في أية لحظة تراه فيها في أي مكان...

• كل فتاة ضغطها منخفض و(هبطانة) في أي وقت تراه فيها..

• السمنة واللون الأبيض علامتا الصحة الوحيدتان.. ولا توجد أية علامات أخرى.

• ارتفاع الحرارة ليس حمى.. الحمى هي التيفود فقط أو كل مرض يهدد الحياة ويستدعي الذهاب لمستشفى الحبيبات التي تعجل بالوفاة غالباً..

• السماعة تعرف كل شيء وتهمس للطبيب بتشخيص المرض وملاجه.. لهذا هي لا تخرج إلا لمن يدفع.. لا تتوقع أن يستعمل الطبيب هذه الأداة السحرية للمرضى المجانيين فإن فعل فهو غير جدير بالاحترام.. وربما كان غداً كذلك..

• عامة يجب أن توضع السماعة على موضع الأذن.. فلو كان رأسك يؤلك ولم يضع الطبيب السماعة على رأسك، فهو وغد لا خلاق له.

• للمستشفيات العامة لا تصلح لشيء لأن (الهمل موجود).. (الهمل)

بكسر الهاء هو الإهمال.

علم البحوث الطبية *Medical investigations* الريفي:

أهم شيء هو التكرير (التحليل).. لا بد من الإنذار (المنظار) لكنه صعب ويمقتل دائماً... (الأوشاعة) مفيدة دائماً.. "الداكتور جال إذ لا بد من أوشاعة"

علم الفارماكولوجي *pharmacology* الريفي يقسم

العقاقير إلى نوعين:

1- الدواء: وهو كل ما يوضع في زجاجة ويشرب..

2- العلاج (بتعطيش الجيم): هو كل ما عدا ذلك!

ويتقسم العلاج (بتعطيش الجيم) إلى عدة أقسام:

أ- الحجن: هي كل ما يحقن.. وهي أهم أنواع العلاج (بتعطيش

الجيم) وأفخمها وأقواها أثراً.. عامة يتناسب مفعول الحجن مع ما تحدثه من

ألم.. الحجنة التي لا تحرق المريض وتجعله يتلوى لئلا هي نوع من النصب الذي

يمارسه أطباء الوحدات الذين لا خلاق لهم..

والحجن عامة ثلاثة أنواع: حجن الجنب (بتعطيش الجيم) وهي كل



في المريء دائماً. تسبب الضغط والدوخة والصداع والهبوط ولا بد من (حرجان) في  
فم المعدة.. وأنت تذكر قصة المريضة التي كاد فيتامين (ب) يقتلها..

عامّة طبيب الريف لا يصف لك الهواء الفلاني أو يكتب الهواء الفلاني،  
ولكن (يطلعه لك).. مثلاً (الداكتور طلعي كباسين وبرشام)..

هذا هو ما وجدته في أوراقى عن الموضوع، وأعد باستكمال هذا الموضوع  
العلمي المهم بمجرد أن أتذكر تفاصيل أخرى.

لمزيد من الكتب الحصرية..

جروب عصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice

ما يعطى للمغص الكلوي. حجن فيتامين. حجن بنسولين أو فايلوسيف وهي  
تلخص المضادات الحيوية عامة.

ب- الكياسين (الكبسولات): بما أن أغلب الكبسولات تحوي مضادات  
حيوية، فإن الكياسين هي نوع من العلاج مخصص لتخفيض ارتفاع الحرارة  
ومهما كانت أسبابها.. وهنا يبرز عقار مهم جداً اسمه (500)... لم تسمع  
عنه...؟ لأنك محدود العلم عدم المؤاخنة.. يقول لك الرجل في فخر: "500  
به ممتاز..". أو "أنا أنيت الونه 500".. كما تلاحظ 500 هنا هو الاسم  
العلمي للعقار وليس جرعته..

هناك نوع من الكياسين له أهمية خاصة هو القويات.. وتستخدم في  
حالات (الضعف)..

ج- الجطرات: كلها نوع واحد يصلح لأي شيء بدءاً بالرمد الصيدي  
وانتهاء بسرطان الشبكية.. يجب أن تترك الجطرة مرارة في الحلق وإلا كانت  
نوعاً من النصب الذي يمارسه أطباء الوحدات الذين لا خلاق لهم..

د- مراهم: كلمة واحدة جزلة دسمة تصلح لكل شيء بدءاً بالإكزيما  
حتى الجنام.

هـ- برشام: هذه هي أسفل سلم العقاقير.. ولا جدوى منها إلا أن تقف

أين هي؟

حب الطفولة قاس

حقاً..

أعمال فنية نادرة  
نجحت في اقتناص هذا الخيط  
الموفق. وقصتنا اليوم تحكي عن  
حب طفولة مر به صاحبنا وهو  
في الصف الخامس الابتدائي..  
كان حياً عاتياً شديد العنف  
والقسوة، ولتذهب الهرمونات  
إلى الجحيم فلم يكن لها أي نور  
في هذه القصة..



سراء كانت.. نحيلة كانت.. لها عينا غزال يتلصص من وراء شجرة  
في البغل. لا يعرف حقاً إن كانت جميلة أم لا بمقاييس الجمال.. كانت تعجبه

لعزيم من الكتب المصرية

جروب نصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice



جداً وكفى. وكانت لها ضحكة خاصة تبرز أسنانها جميعاً في آن واحد، فمن حسن الحظ إن أن كانت أسنانها نظيفة منمقة..

حب من طرف واحد.. لم يعرف قط إن كانت تلميذة الصف الخامس الابتدائي تميل له أم لا، ولم يهتم بشيء سوى بكونه يحبها جداً.. ومن الصعب ان تتخيل منظر الصبي ذي الأعوام العشرة وهو يصفي دماغاً لكلمات (عبد الحلیم حافظ) الحراقة وهو يقني:

-تاني تاني تاني. راجعين للحيرة تاني.. ونضيع ونجري ورا الأمانى-

وكانت تلك الأغنية هي اللوحة في ذلك العام.. كانت ساخنة خرجت من الفرن حالاً.

يعرف اسمها - الذي لن أنكره طبعاً - ويعرف عنوان بيتها عندما كتبته على لوح الكتابة في حصة اللغة العربية. لم ينسهما قط..

انتهت المدرسة الابتدائية وجاءت المدرسة الإعدادية وصار أصدقاء الأوس غرباء. كان يعود للمدرسة الابتدائية من حين لآخر ليمشي في الفناء منبهراً.. في هذا الفناء الصغير الضيق كانت الكائنات الفضائية تحارب المريخيين الشجعان، وكان الهنود الحمر يرقصون، وكان يبليه يقود فريق سانتوس ليحرز 28 هدفاً في الفسحة.. كيف اتسع اللناء لكل هذه الأحلام وهو بحجم البانيو في حمام بيتك؟

هناك رأها ذات يوم وكأنها جاءت لتلقي ذات الأسئلة.. كانت واقفة جوار صنوبر الماء وكانت تملأ كوباً من الماء لطفلة لا تستطيع بلوغ الصنوبر بسبب الزحام. ضحك لها وضحكت له.. ضحكت تلك الضحكة التي تكشف عن أسنانها كلها في وقت واحد. لم تعد تلبس الريولة الصفراء المصنوعة من (تيل نادية) وإنما تلبس بذلة المدرسة الإعدادية الزرقاء الأنيقة. سألته عن حاله وسألها عن حالها، وتظاهر بأنه لا يموت.. تظاهر بأن قدميه ثابتتان.. تظاهر بأنه لم يحلم بها كل يوم منذ ثلاثة أعوام..

حيته وانصرفت.. ووقف يراقبها وهي تحقق طريقها مسرعة نحو البوابة وسط جحافل الأطفال، وكان هذا هو اللقاء الأخير... فعلاً...

فقط مر مرات عديدة أمام بيتها وراح ينظر للمدخل الرطب الذي قد تنعس فيه قطة ممشية، وقال لنفسه:

- يوماً ما سوف أصير رجلاً ناضجاً وسوف اجتاز هذا المدخل.. -

لم يجتز المدخل قط، لكن الفكرة جعلت سنوات الحرمان محتملة..

من الغريب أنه لم يبذل أي جهد للبحث عنها. كانت أقدس من أن يدينها بأسئلة أو يتف عند قارعة الطريق ينتظرها. ومن المؤلم أنها كانت من طراز فتيات النسيم اللاتي لا تسمع عنهن شيئاً أبداً.. ليست متفوقة لقرى

صورتها في الصحف، وليست طائشة ليتكلم عنها رفاقك.. كانت زفيراً تكاثف على زجاج نكرياتك ثم بدأ يتلاشى ببطء....

أحياناً تُبعث في بعض القصائد، أو يقتحم جزء منها قصة له.. هناك بعض الرواسب الفرويدية التي تركتها له، وإلا فلماذا ظل طويلاً يفلت قلبه ضربة كلما رأى درية شرف الدين أو سحر رامي أو آلي مكجرو؟ هل تعرف الشيء الذي يجمع بين هاته الفتيات؟.. إنه هي..!

أين هي الآن؟

كثيراً ما يقف يرمق الليل في الخارج ويتساءل هذا السؤال ويتعنى أن يجد إجابة عنه..

أين هي الآن؟

ثمة احتمال لا بأس به أنها اليوم أم في الخمسين.. معلمة فيزياء بدينة صارمة. لابد أنها قضت خمسة عشر عاماً في السعودية.. في (الأحساء) على الأرجح. تضع على رأسها يونيه غريب الشكل يذكرك بخونات الصليبيين في فيلم (صلاح الدين الأيوبي)، وتعاني النقرس بشدة.. لديها ابنان هما (إلهام) و(مصطفى).. بالطبع تزوجت إلهام الآن ولديها طفل.. (مصطفى) لم يتزوج بعد ولا يكف عن مصادقة الفتيات ودخول البيوت غير جاد. المشكلة هي أن ولديها

ظلا في مصر فترة طويلة دون رعاية الأم والأب لذا لم تكن تربيتها أفضل شيء...

في هذا الصيف سوف تكتشف أنها مصابة بالتهاب الكبد سي.. هذا يهدد بأن يتوقف تعاقدنا لو أن الحكومة السعودية أعادت تحليل دمها، لذا تقضي الوقت بين عيادات الأطباء تتساءل عن جدوى الحبة الصفراء والانتريفيرون.. هل حقنة كورتيزون قبل التحليل يمكن أن تخدع المختبر؟.. المشكلة الأخرى هي أنها قد تكتشف بؤرة سرطانية في الكبد بعد أعوام، ويكون عليها أن تختار بين التردد الحراري أو الحقن بالكحول..

مسكينة يا صغيرتي الجميلة.. رحلة طويلة قطعتها منذ كنت ذلك الغزال الأسمر في المدرسة، حتى وصلت إلى سرطان الكبد.. أنا أسف فعلاً...

ربما ليس الأمر كذلك..

ربما هي الآن تلف سيجارة أخرجتها من صدرها.. تبللها بلسانها ثم تبحث عن عود ثقاب خلف أذنها. تشعل السيجارة وتطلق سحابة كثيفة من منخريها، ثم تتربع جوار الفراش القذر.. (أم عواطف) تحاول أن تفرض سيطرتها عليها، لكنها لن تسمح لها بذلك...

أعوام مرت منذ قتلت زوجها طمناً بالمسكين في بنور رقبته، والسبب



أنه عرف أن عشيقها (عباس) على علاقة بها.. لو لم تفعل لقتلها معاً..  
المحامي لم يكن يؤدي عمله جيداً وياعها. ما زالت أمامها أعوام طويلة في هذا  
المكان العفن، ولا شك أنها تستعيد ذكرى المدرسة الابتدائية عندما كانت شيئاً  
عزيزاً تميماً نظيفاً، وكانت لها أم تعنى بها وتكوي ثيابها، وكان هناك تلميذ  
أحمق يهيم بها حباً ويعتقد أنها لا تلاحظ هذا الغبي كان يمر أمام بيتها  
مراراً ويستنشق الهواء.. هاؤ!.. هاؤ!.. يا ابن المجنونة!... لبتك تقدمت لي  
وقتها.. كنت سأوافق.. أي شيء كان أرحم مما صرت إليه...

هذا المصير صعب التحقق نوعاً لأنها من الطبقة الوسطى مثله.. نساء  
الطبقة الوسطى لا يذبحن أزواجهن، وإنما تفعل هذا فيكي وانصاف..

إنن أين هي الآن؟

بعد نحو أربعين عاماً..

ربما هي الآن في الغرفة الباردة المعقمة تشعل لغافة تبغ أخيرة قبل أن  
تنهض. إن رأس المريض مفتوح والبروفسور (لارس جيلباد) ينتظرها في قاعة  
الجراحة. إن قدراتها الذهيلة في استئصال الأورام المخيخية قد أثارت نهول  
الكثيرين ومعظم أطباء أوروبا يحاولون أن يشربوا منها هذا الفن..

- لا يجب أن أدخن.. التدخين يجعل يدي ترتجف -

بدا جراح الأعصاب لا يجب أن ترتجفا، ولكنها لا تستطيع التخلي عن  
لغافة التبغ.. بعد الطلاق من زوجها صارت السجارة صديقها الوحيد في هذه  
البلاد الباردة : السويد. من حين لآخر تتذكر دفة مصر وشارع المدرسة.  
المدرسة الابتدائية وتندesh كلما تذكرت كيف تغير مسار حياتها بعد ما  
أنهت دراسة الطب.. كيف التحقت بتلك البعثة الدراسية في جراحة الأعصاب  
ولم تعد لمصر قط من حينها.....

حياة باردة قاسية.. لكنها ناجحة..

من قال إن النجاح يعني السعادة دائماً؟

ربما لم يحدث هذا السيناريو بالضبط.. لكن أين هي الآن؟

هي من جديد تدخن بكثافة.. كفاك تدخيناً يا مجنونة.. كلما تخيلت  
مكانك رأيت السجارة في يدك..

إنها تنف هناك خلف الكواليس تراقب البنات يؤدين الخطوات  
المعروفة لباليه (جيزيل). نضرات صغيرات السن لينات..

تدخل المدربة (أولجا بافلوفنا) لتقول لها إن العرض سيبدأ حالاً.. وأنه  
لا نور لها فيه.. يجب أن ترحل :

- لقد انتهى عصرك كباليرينا.. يجب أن ترحلي.. -

تقول في عصبية وهي تنفث الدخان:

"نهابي من هنا معناه معاتي"

لقد ضحت كثيراً منذ تركت مصر لتدرس الباليه في الاتحاد السوفييتي وقتها، وكان عليها كذلك أن تدرس الشيوعية وتعتنقها.. لكنها استطاعت أن تكبر وأن تفجر طاقات مذهلة. كانت معلمة في المدرسة الابتدائية تقول لها: أنت خلقت كي تكوني باليرينا...

لقد اشتهرت حتى لمست الشمس واليوم عليها أن تهوي للثرى...

لا.. لربما كان الانتحار هو الأفضل.. إيزابورا ماتت مخنوقة عندما انفث شالها حول عجلة السيارة.. هي ستفعل الشيء ذاته لكن بكامل إرادتها.. لحظة.. يصعب عليها أن تكون باليرينا على كبر...

إن أئين يمكن أن تكون؟

ربما هناك في ميدان التحرير تحمل لافتة عليها (الشعب يريد إسقاط النظام). لقد تعبت وبع صوتها وسنها لا تسمح لها بالثورية إلى هذا الحد، لكن وجودها يحمس الشباب بلا شك.. عندما يرون امرأة في سنها تصيح فهم يتحمسون أكثر. شاب من الصارخين قدم لها زجاجة ببسي وبصلة، فهتفت أنها أكلت. لكنه شرح لها أن هذا هو التقليد المتبع لكافة الغاز السهل

للمدوع...

اصعدوا يا شباب... حكومة اللصوص هذه سوف ترحل..

تصرخ وتسل..

الطلقات تنهمر.. القناصة الذين أسر الجميع فيما بعد على أنهم غير موجودين يمطرون الشباب بالرصاص. مبارك يقتل أبناءه ليبقى يوماً آخر...

أرجو أن تحترسي.. ستكون نهاية مشرفة لكنها دامية جداً.. لا أريد أن تضيعني مني بعد كل هذه الأعوام لأجدك جثة مهشمة الرأس يصعب التعرف عليها..

أسرعي.. جدي مكاناً بعيداً....

أئين هي الآن؟

ربما سقط الفك التحلل الآن بعد ما تمزقت الأربطة.. وخرجت بودة صغيرة من العين التي تحولت إلى تجويف.. لقد انفجر الجلد منذ أسبوع وتحررت البكتريا التي كانت تملأ الأحشاء..

القبر مظلم وقاس.. والأسوأ أنه حار جداً.. التحلل يتم بسرعة. سن الخمسين سن مناسبة للموت.. ليست ميكرة جداً فتفعمك حسرة على شبابك وليست متأخرة ليحاصرك الشلل والصمم وارتفاع ضغط الدم والعمى...





## قصة حب

من جديد تتكرر ذات المشكلة الشهرية: مقال مجلة الشباب يُسلم  
مبكراً جداً، وهذا يعني أنك سوف تقرؤه بعد نحو شهر لو كان لنا عمر. لا  
أعرف بتاتاً ما ستكون عليه الأمور وقتها، ولهذا أرجو أن تغفر لي لو كان المقال

تري أين هي ؟

تري كيف كانت الأمور ستكون لو صارت له ؟ هل كانت نهايتها

لتكون أفضل أم أسوأ ؟

هل يلتقيها يوماً ما في السماء في عالم آخر بمقاييس مختلفة ؟ ... وهل

تظل معه للأبد وقتها ؟

لن يعرف أبداً على الأرجح. فقط لو عرفتم أين هي وما مصيرها أرجو

أن تبلغوه بما تعرفون ...

لمزيد من الكتب المصرية ..

جروب نصير الكتب

[FB.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)

يتكلم عن أمور لا علاقة لها بما يدور في ذهنك. ربما تكون نهاية العالم مثلاً، بينما أنا أتكلم عن قصة حب.. لست مجنوناً.. أنا فقط لست عرافاً..

لست مولعاً بقصص الحب التي يكون الشيخ أبطالاً لها، ولا تؤثر في البتة. قبل أن تقول شيئاً دعني أنكرك بأنني لم أعد شاباً على الإطلاق. الفكرة هنا هي ولعي بالجمال والثالية، لهذا كنت أتخيل العشاق يوماً من الشباب.. يخيل لي أن الشباب هم الوحيدون الجديرون بالحب، بينما الشيخ يلعبون لعبة خبيثة يحاولون بها أن يأكلوا في ذات المطعم مرتين، أو يروا العرض السينمائي مرتين بتذكرة واحدة. في مسارح الولد كان رجل يحمل عما غليظة يمشي بعد العرض بين مقاعد القفوجين ليطرد من تسول له نفسه الانتظار قليلاً. هذا الرجل ليس موجوداً دائماً وأحياناً يحب الشيخ أن يظنوا جالسين متمسكين بحقهم في أن يروا العرض من جديد..

قد يحب الشيخ فتاة صغيرة السن، وهذا خطأ جسيم، لكنه ممكن إننا اقتنعنا بأن الحب شيء خارج عن الإرادة. هناك قصة رقيقة جداً لكاوي سعيد يحكي فيها قصة رجل ناهب إلى عيادة طبيب متظاهراً بالمرض، وهذا ليطلب يد ابنة الطبيب. عندما يأخذ منه الطبيب معلومات شخصية عن نفسه، يكتشف راوي القصة أنه أكبر من الطبيب!.. أكبر من والد حبيبته!.. هنا يأخذ علاج الضغط الذي كتبه له الطبيب وينصرف في حزن..

الأمر كما نرى هو مأساة تدمو للشفقة..

السيناريو الثاني هو حب الشيخ.. أي أن الشيخ يحب سيدة عجوزاً. لا شك أن هذا الحب لا يخلو من العنوبة والالام.

في البداية التي كنت أسكنها قبل زواجي، كان هناك عدد لا بأس به من اليونانيين الذين بدعوا يعوبون لبلادهم. سوف أستخدم أسماء مستعارة طبعاً. كانت الأنسة (إيرين) في الثمانين من عمرها.. كما لك أن تتوقع كان وجهها عبارة عن ورقة مبللة كرمشتها يد قاسية.. في كل سنتيمتر عشرات التجاعيد.. تطل على هنا كنه عين منهكة لا تعرف ما رأته بالضبط في حياتها، لكنها توارت وراء سحابة بيضاء وذلك الغشاء الذي يطلقون عليه (ظفرة). وبالطبع كان هناك إحساس عام بالدموع يخيم على هذه العين.. تشعر أنها كانت تبكي أو موشكة على البكاء.. بالإضافة لهذا لم تكن تسمع تقريباً..

يمكنك أن تراها هناك قادمة عند أول الطريق بقامتها المحنية وثوبها الذي لم تكن تغيره تقريباً.. الجورب المتهدل المزرق في عدة مواضع، والشعر المشعث الأشيب. الصورة المثلى لساحرة عجوز ربما تلتهم الأطفال... لكنك تدرك بسهولة أنها امرأة نبيلة شديدة الكبرياء، ولسان حالها هو (نهارك سعيد يا جاري.. أنت في حالك وأنا في حالي).



كنت أحبها كثيراً.. فهي تنقلني لأجواء أخرى.. عجوز يونانية تمشي في شوارع قرية ساحلية بين الصيادين الذين يجفون الشباك ويحتسون الأوزون.. ربما هي ذات القرية التي يرقص فيها زوربا اليوناني.. باختصار كانت تداعب الجزء الذي قرأ (كازندراكيس) في خيالي..

لا أعرف ديانتها، لكنها على الأرجح كانت كاثوليكية، وإن كنت لم أرها قط تذهب للكنيسة يوم الأحد..

نشيطه جداً هي أنسة (إيرين). تذهب للموق وحدها وتذهب للفرن لتقف في الطابور. دائماً تحمل تلك الحقيقية المصنوعة من خيوط التريكو.. تبتاع بالضبط ما تريد من كميات. يصعب في مصر أن ترى من يبتاع ثمرة طماطم وثمره خيار وسمكتين ورغيفاً مثلاً.. لكنها كانت تفعل ذلك..

إنها تعيش في غرفة على السطح.. كلما تصورت هذا انقطع نفسي وشعرت بأنني موشك على العودة للعناية المركزة. هذه بناية شاهقة.. بناية مرعبة من بنايات الماضي.. والطابق الثالث يعادل الطابق الثامن من بنايات اليوم الرقيقة.. هذه الأنسة كانت تصعد خمسة طوابق (من طوابق الماضي) سراً كل يوم..

على السطح تجد غرفتها..

دخلتها عدة مرات. ولم يخب ظني كثيراً..

كانت الغرفة الخيقة قد صارت أروع مكان على وجه الأرض. مزهية... أزهار ونباتات ظل عند المدخل.. ستائر عليها أزهار زاهية. نافذة مفتوحة تدخل منها الشمس، وفي الداخل منضدة صغيرة عليها دائماً كعكة أو حلوى (كوكيز) صنعتها هي، وموقد صغير، وفراشان صغيران..

هذا الجزء كان يداعب عالم ديزني في خيالي.. الجدة بطة تخبز كعك التوت وتضعه على النافذة، ومن الوارد أن يمر الدب ليلتهمه.

هل قلت (فراشان صغيران)؟.. نعم.. أتم أقل لك أن أخاها الخواجة (خريستو) يعيش معها في هذه الغرفة؟.. معلم قديم في الثمانين مثلها. يذكر كثيراً بوودي ألين بقامته النحيلة الضامرة وعويناته والابتسامة الواضحة الخجول على شفتيه...

هناك بعض الكتب باليونانية فلا أستطيع أن أعرف ما موضوعها..

من أين جاء هناك؟.. لماذا يقيم في مصر؟.. لماذا لم يتزوجا؟.. ما مصدر المال الذي يعيشان به (وهو ليس وفيراً على كل حال). أسئلة لا أعرف إجابتها ولم تكن حالة سمعها أو تجاوبها مع الناس تسمحان بأن تروي فضولك..

الأيام تمر..

لم أعرف أن الخواجة (خريستو) كان يمر بحالة اكتئاب عنيفة. لقد طال العمر به أكثر من اللازم وهو ينتظر في صبر أن ينتهي الفيلم بلا جدوى.. أعرف هنا الشعور القاسي وأرثي له كثيراً.. أن تصحو من النوم منتظراً في لهفة قنوم الليل لينتهي يوم آخر..

حتى جاء اليوم الذي سمعنا فيه صراخاً عنيفاً.. هرعت للشرقة لأرى ما هنالك فوجدت ظاهرة غريبة.. لقد جن الجميع.. كل سكان البناية المقابلة ينظرون لسطح بنايتنا ويصرخون وكل من في الشارع ينظر لأعلى ويصرخ.. هكنا توصلت إلى استنتاج عبقري: هناك شيء ما..

هرعت للسطح، ولما كان الموقف غير معتاد فقد مررت بحالة لحظية من بطله التفكير، تلك الحالة التي لم يمان منها ابن جارتنا لحسن الحظ. فهو ضابط شرطة معتاد على الأحداث العنيفة. كان قد هرع للسطح فركل الباب بعنف لينفتح، ولما دخلنا إلى الغرفة الجميلة رأينا الأنسة إيرين منهارة إلى جوار النافذة المظلة على النور.. كانت في حالة لا تسمح بشيء سوى أن تجلس هكنا بلا حراك، ومن جديد فهم ابن جارتنا ما يحدث فمد يده خارج النافذة وعاد يحمل الخواجة (خريستو) من قناله كأنه أرنب يتلوى محاولاً الفرار.. لقد كان اليوناني المعجوز يقف على إفريز البناية خارج النافذة..

لحظات يستجمع فيها شجاعته قبل أن يشب..!

قال ابن جارتنا وهو يشعل لفاة تبغ:

- كلنا نمر بحالة قرف يا عم خريستو.. وكلنا في أسوأ حال لكننا لا

نشب من النواخذ!

بينما المعجوز يردد بلا توقف وبضعف غريب:

- خريستو خلاص.. زهق.. خريستو موس عايز يعيش

وهكنا عدنا لديارنا وقد عرفنا للأساة التي يعيشها الشقيقان..

الحقيقة أن خريستو كان ضعيفاً.. لكن الأهم أنه كان أنانياً.. لا أحد

ينتحر ويترك أخته المعجوز وحيدة في بلد أجنبي، والله أعلم بالضغوط النفسية

التي مر بها على كل حال.. دعنا لا نأخذ مقاعد القضاة..

ذات صباح صحت من النوم فعرفت أن الخواجة خريستو نجح..

لقد صحت أخته فلم تجده في الغرفة، وعندما ألتفت نظرة إلى النور

وجدت جثته ملقاة هناك..

يبود أنه اختار ساعات الفجر الأولى حتى لا يراه المتحمسون والمتقنون

من أمثالنا. عرفت فيما بعد موضوع ساعة الذئب، وهي الساعات الأولى بعد



منتصف الليل، عندما تكون في أوهن حالاتنا نفسياً وجسدياً.. في هذه الساعة ينتحر من أصيبوا باكتئاب، وتحدث النوبات القلبية وجلطات المخ لمن هم على استعداد لذلك..

لقد استبد به الاكتئاب في تلك الساعات.. لا بد أنه نهض وحيثاً ووقف يرمق السطح الخالي في ضوء القمر.. أخته نائمة لا تدري شيئاً.. لا بد أنه تذكر شبابه واليونان... تذكر نفسه طفلاً سعيداً نقيماً يقرر في فراشه وتلثم أمه قدميه البختين في شوق..

لا بد أنه فكر في هذا كله..

ثم وثب....

كان اليوم صاخباً بالطبع.. لكن كل شيء انتهى..

من جديد عادت آنسة إيرين تبتاع رقيقاً وثمرات طماطم.. ولا شك أنها صارت تضع طبقاً واحداً على منضدة الجدة بطة..

الأزهار نبهت والنباتات لم تعد تجد من يعنى بها..

وفي ذات يوم لم تعد الآنسة إيرين هناك..

أخبرني الجيران أن الآنسة كانت شابة يوماً ما.. كانت حسناء بارعة الجمال. وكان هناك شاب وسيم فقير يهيم بها حباً هناك في اليونان. لكن رفض

أهلها أن يزوجوها له.

اليوم صار الشاب رجلاً ناضجاً في التسعين من عمره، والطريف أنه لم يتزوج لأنه ظل على حبه لتلك السنيورة التي بلغت الثمانين. الأخبار تصل اليونان بسرعة وقد عرف بأن حبيبة قلبه وحيدة بعد ما انتحر أخوها، وهي في بلد أجنبي.. لقد صارت حرة.. وأحوج ما تكون له..

هكذا طار فتى الأحلام إلى مصر وتزوج حبيبة قلبه ذات الثمانين ربيعاً، وأركبها على حصانه الأبيض عائداً بها إلى اليونان....

هذا نمونج فريد للشحيتين اللذين يظنان كل الظن ألا تلاقيا.. لقد التقى القلبان بعد ستين عاماً على الأقل!.. ويبدو أن فرصة الظفر بابنة الجيران ما زالت متاحة أمامك عندما تبلغ سن الثمانين!

هذه من القصص النادرة التي أبتلع فيها غرام الشيخوخة.. فيما عدا هذا لا أحب هذه السيرة على الإطلاق!

لمزيد من الكتب الحصرية..

جروب عصير الكتب

FB.com/groups/Book.juice

## الفهرس

5	..... مقدمة
7	..... أشهر ما قبل الثورة
9	..... الآن نغلق الصندوق!
19	..... القصاصة ما زالت في جيبي
29	..... المختار من المختار
39	..... السلاموني يتكلم
49	..... إننا.. و بلد العميان
59	..... إعلانات حتى للمات
69	..... نهواة الكاتا كوم فقط

عصير الكتب

[Facebook.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم اينا لتحصل على كل ما هو جديد



**عصير الكتب**

[Facebook.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)

**هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب**

**انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد**

**لمزيد من الكتب الحصرية ..**

**جروب عصير الكتب**

**[FB.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)**

- 79 ..... ما بعد الثورة
- 81 ..... فواتير وحبسة وميكروبات
- 91 ..... بعد أربعة أشهر
- 101 ..... سجن النجاة ورق
- 113 ..... شفرة التواريخ
- 123 ..... ولا تنسوا عم حجازي
- 133 ..... مارا - صناد
- 143 ..... جامع الأحلام
- 153 ..... الطريف في طب الریف
- 165 ..... أين هي ؟
- 175 ..... قصة حب

**عصير الكتب**

**Facebook.com/groups/Book.juice**

**هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب**

**انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد**